كتاب

الموسيقا الإلهية

(صوت الصمت)

كتاب الموسيقا الإلهية

(صوت الصمت)

أوشو

ترجمة

جلال أبو رايد

اسم الكتاب: الموسيقا الإلهية (صوت الصمت)

المؤلف: أوشو

المترجم: جلال أبو رايد

الطبعة الأولى: 2014

عدد النسخ: 1000

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-22-028-0

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في :

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق – جرمانا – الآس الشرقي

هاتف: 00963115627060

هاتف: 00963115637060

فاكس: 00963115632860

ص .ب : جرمانا 259

www.darrislan.com

موسيقا الصمت

كثيراً ما نقول عن أشياء نسمع عنها و لا ندركها بأنها غير موجودة و نسميها أحياناً أخرى معجزات و خوارق و ما هي في الحقيقة سوى حقائق نجهلها... طوفان في الصحراء، شمس في الليل، نجوم في الظهيرة و صوت الصمت و صداه و غيرها من العبارات التخيلية المستحيلة اعتاد أهل السينما و غيرهم من صناع الخرافات استخدامها للإيقاع بالأغبياء و تسويق نفاياتهم عبر سلب أموالهم و أوقاتهم .

و لكن بعيداً عن هذا العالم الذي اعتدنا تسميته متحضراً هناك شعوب عملت و لآلاف السنين لتحقيق أمر واحد؛ لتحقيق غاية نبيلة واحدة و هي البحث و التعمق الداخلي... لكننا و للأسف في أمة العرب نكاد نفتقد لأمور كهذه لأننا و باختصار ننقسم إلى فئتين رئيسيتين أولاهما خاضعة لجبرية الأديان التي تؤجل البحث في الأمور الداخلية إلى ما

بعد اللانهاية من الأعوام، و ثانيهما خاضعة لقيود الحضارة المادية و تدور في مدارها الغربي، لكن قلة نادرة منا يشغلها هاجس كهذا و هم الصوفيون الحقيقيون والتوحيديين الذين تعلموا على أيدي معلمين ليسوا عرباً للأسف.

« OM MANI BADME HUM » عبارة سنسكريتية وتعني « صوت الصمت » أو «الألماس في اللوتس...»عمل التيبتيون { سكان التيبت }لألفي عام متواصلة للبحث في الداخل الإنساني و كانت هذه العبارة { نقول عبارة تجاوزاً لكنها في الحقيقة شيء غير لغوي }من أجمل التعابير عن الاختبار النهائي.

نعم للصمت صوت و موسيقا تعجز آذاننا الخارجية عن سماعها مثلما تعجز أعيننا الخارجية عن رؤيتها... اعتدنا على القول بأننا نمتلك خمس حواس خارجية نعرفها جميعاً و هناك حاسة سادسة في الأذن لم ندركها إلا حديثاً و هي حاسة التوازن { هناك من يسمي معرفة الماضي و المستقبل

حاسة سادسة لكن أموراً كهذه معروفة و بديهية في أجسادنا الثالث و الرابع و لا أعلم فيما لو صحت تسميتها حواساً ، لكن أوشو يقول بأن التوازن هو الحاسة السادسة و هذا أكثر صحة لأن مقر الحواس هو الجسد الأول ومهمتها إدراك العالم الأرضي }عندما تشعر بدوار شديد ، أو عندما ترى ثملاً يترنح فهذا يعني أن حاسة التوازن هي المعتلة.

إضافة إلى هذه الحواس الست للعالم الخارجي توجد ست مماثلة للعالم الداخلي – رؤيته، سماعه و تحسس توازنه وجماله... إن عجز الحواس الخارجية عن إدراك هذا العالم لا يعني بأي شكل من الأشكال عدم وجوده فالحواس الداخلية ملمة به و تدركه تمام الإدراك.

« OM و تقابلها بالعربية اللّه أو للّه أو له » هو الصوت الذي يظهر عند اختفاء كل شيء من وجودك -عندما تتحرر من الأفكار، من الأحلام و من الخطط والتوقعات -على بحيرتك أن تكون هادئة تماماً و خالية

من أية تموجات كالمرآة... في تلك اللحظات النادرة؛ في تلك اللحظات الجميلة تسمع صوت الصمت... إنه الاختبار الأعظم، لا لأنه يسمعنا نوعاً من الموسيقا لداخلية فقط بل لأنه يرينا أيضاً بأن داخلنا مسكون بالانسجام؛ مسكون بالسعادة و الفرح الغامر... هذا كله في الموسيقا الإلهية... موسيقا الصمت.

عليك ألا ترددها بالصوت و اللسان، فإذا فعلت تكون قد خسرت كل شيء، عليك أن تسمعها فقط، عليك أن تكون في غاية الهدوء و السكينة لتراها فجأة تملأ محيطك؛ ليملأ رقصها الجميل، الشفاف و الرقيق كامل وجودك... في اليوم الذي تستطيع فيه سماعها تكون قد دخلت سر أسرار الوجود؛ تكون قد أصبحت رقيقاً ولطيفاً لتستحق انكشاف أسرار الوجود أمامك.

الوجود بانتظارك لتكون مستعداً...

تتفق جميع أديان الشرق دون استثناء على أمر واحد هو أن الصوت المسموع عند الذروة القصوى للصمت هو مشابه لـ « OO الله.»

في الحقيقة لا يمكن كتابة كلمات كهذه لأنه ليست جزءً من أية لغة، أما ما نكتبه فليس إلا رموزاً للدلالة لذلك نلاحظ بأن الرمز « OM » في جميع اللغات الشرقية التي تعنى بهذا الأمور كذلك تحافظ الكلمة « الله » على لفظها عند جميع الشعوب الإسلامية على اختلاف لغاتها اللسانية، فقد وجد الصوفيون على اختلاف أعمارهم وعصورهم و أجمعوا على اختبار واحد و نتيجته واحدة «هذه الرموز ليست من عالمنا الأرضي و لذلك يجب عدم كتابتها بالحروف، يجب أن تحافظ على رمزيتها التي تتجاوز اللغات » فهي لا تعني شيئاً بالمدلول العقلي و إنما يتعلق مدلولها و يتغير حسب درجة نموك الروحي.

حاولت الموسيقا و لا سيما الكلاسيكية منها تحقيق صوت الصمت مما سيمكن من لم يدخل إلى أعماق

وجوده من سماع شيء مشابه، لكن هيهات أن يطابق المشابه الحقيقي... مهما بلغت براعة الموسيقي فلا بد له من استخدام الأصوات و مهما فعل لا يمكنه أن يحقق الصمت، إن ما يقوم به الموسيقي هو فجوات و فترات انقطاع؛ معزوفته بكاملها صوت و صمت بالتناوب أما صوت للصمت فلا يمكنه تحقيقه... من لا يفهم الموسيقا يسمع صوتها و من يفهمها يسمع الصمت فيها .

تكمن الموسيقا الحقيقية في الفواصل الصامتة !

يقوم الموسيقي بإحداث الأصوات و يترك فجوات صامتة بينها كنوع من الاختلاف أو التغيير مما يمكننا من اختبار شيء طفيف مما يختبره الصوفي في عالمه الداخلي... أما الموسيقا الإلهية فقد كانت واحدة من أهم إنجازات الباحثين عن الحقيقة، حقاً إنها حالات لا تصدق لكنها حقائق تاريخية !

تعتبر وفاة أحد هؤلاء حادثة مهمة وذات قيمة كحياته تماماً أو أهم، إذا كنت قريباً من هذا الصوفي لحظة وفاته

ستختبر العديد من الأشياء الفريدة لأن كامل وعيه سيغادر الجسد عندها، فإذا كانت لديك الصحوة و الوعي المناسبين فستشعر بعطر جديد؛ سترى نوراً جديداً و ستسمع موسيقى جديدة .

تجمع أقرب مريدي ماريا و هو صوفي تيبتي حوله في المعبد لحظة وفاته... ما مصدر هذا الصوت الإلهي لأوم الذي أمكن سماعه ؟ لم يأت من أي مكان بل من داخل ماربا نفسه ! موسيقا إلهية ولدها اهتزاز داخلي؛ موسيقا رافقته طيلة حياته بعد تحقيق الاستنارة .

دخل الصوت حتى إلى خلاياه الجسدية بسبب اختباره المستمر له؛ تعلم كل نسيج من أنسجته إيقاعاً محدداً وبطول الموجة نفسه.

و لكن، هل كان ماريا وحيداً باختباره لهذه الموسيقا ؟ بالطبع لا، يبدأ كامل الوجود بالإشعاع و خاصة لحظة الموت عندما تبدأ الإيقاعات بالتصاعد، لكننا عميان

وأغبياء بما فيه الكفاية لنظن أنه بمقدورنا أن نحقق والتكرار ما اختبره الصوفي و نسميه موسيقا إلهية.

لا يعني تكرار الرموز اللغوية للموسيقا الإلهية سماعها و لا يمكن أن يقود إلى سماعها ، فكائناً ما كانت الفكرة التي تدور في الفكر فهو يعمل و لا يعلم فيما لو كانت الفكرة التي تدور به إلهية أم شيطانية... تعلمنا هذا التكرار لقرون عديدة و تهنا بخديعة تحقيق اختبار مزيف و بالتأكيد لم نصل و لم نحقق و لم نختبر شيئا حقيقياً.

لا تكرر يا أخي و لا تردد و إنما كن هادئاً و أصغ بصمت، و عندما يصبح فكرك هادئاً و ساكناً سيولد شعور أشبه بهذه الموسيقا داخل وجودك... دعه يشرق من تلقاء نفسه و ستختبر عندها حياة جديدة، سينتقل بك من عالم لآخر.

يقول الفيزيائيون في الكمومية الحديثة بأن كل شيء في العالم مكون من طاقات و حقول، و وفقاً لذلك يعتبر الصوت أمواجاً كهربائية... إنها نظرة من الخارج إذاً،

ويقول الصوفيون بأن كل شيء في العالم و الوجود مخلوق من الصوت الصامت للموسيقا الإلهية، حتى الكهرباء والنار ما هي إلا شكل محدد من صوت متكثف.

كان من المعروف لدى قدامى موسيقيي الشرق قدرتهم على إيقاد الشموع بالموسيقا عن بعد، حيث تتقد الشمعة فجأة عند سقوط الموسيقا عليها، كان هذا في الحقيقة اختباراً و لا يعد الموسيقي ناجحاً ولا يعترف به كمعلم إلا عندما يتمكن من إيقاد الشموع بالموسيقا.

يعتبر التفسير الفيزيائي لهذه الظاهرة غاية في البساطة فللصوت طاقة ينقلها إلى مادة الشمعة مما يزيد من طاقة الالكترونات في ذراتها و عند حد معين تتمكن الالكترونات ضعيفة الارتباط بذراتها من الإفلات محررة طاقة هي في الحقيقة النار التي نراها، لكن تفسيراً كهذا لم يفهم فيزيائياً إلى في القرن العشرين، ولكن إن لم يكن التفسير الصوفي مقبولاً في الشرق لما تم تركيز عليه منذ القديم، على كل حال قد يوجد في الأعماق

مصدر بمقدوره إزالة هذا التناقض و ربما تكون المسألة مسألة تفسيرات مختلفة لحقيقة واحدة فالصوفي يختبر من الداخل و ينقل لنا ما يختبر و ينظر الفيزيائي من الخارج... ما يعتبره الفيزيائي طاقة و حقولاً يعتبره الصوفي موسيقا للوجود بأكمله، يقولان الشيء نفسه ولكن كل بلغته... يتحدث الفيزيائي اعتماداً على تجارب يجريها على أشياء ميتة و يتحدث الصوفي اعتماداً على اختبارات يعيشها بكامل وعيه و كامل مراكزه و الوعي هو صفوة الوجود...

إن أفضل ترميز باللغة العربية مقابل للعبارة « OM MANI PADME HUM » هو لفظ الجلالة « اللّه »... يمكن اعتبار الكلمة الأولى OM ثمرة أو زهرة تتفتح عند بلوغ مرحلة معينة يجوز تسميتها باللغة العربية «تحقيق الألوهية» و لكن إذا كانت تلك هي الثمرة فأين بذرتها ؟ البذرة في المقطع الأخير « HUM » و في العربية حرف الهاء في لفظ

الجلالة بتسكين الواو... لاحظ ماذا يقول بعض المسلمون «لا إله إلا هو.»

وجد الصوفين العرب بأن الصوت «هو» يؤثر مباشرة في مركز الحياة تماماً أسفل السرة حيث يرتبط الجنين بأمه، فالبذرة الحقيقية إذاً في الداخل و ما علينا سوى إيقاظها .

حاول إذاً: قل «هو» ستلاحظ أن تأثيرها يقع تحت الصرة تماماً الأمر الذي دفع أوشو لاستخدام هذا الاكتشاف في التأمل الديناميكي... لكن الطريقة التيبتية صحيحة أيضاً حيث يمكن استخدام HUM بدل هو، و لكن تبين أن هو تظهر بعض القسوة و الخشونة أما HUM فأنعم قليلاً، لكن الأنعم أبطأ في إيقاظ الطاقات، ولكن من المحتمل أن تلعب طبيعة المناخ دوراً في استخدام كل منهما... فبوجود الطبيعة الباردة في التيبت وجد صوفيوها أن الصوت الناعم لـHUM كاف لإثارة الطاقات بينما

تطلب جو الصحراء العربية حيث الصوفيون المسلمون استخدام الصوت هو القاسي بعض الشيء.

« هو » هي شعلة إيقاد الإلوهية فيك إذا زرعت بذرة حياتك في التربة فلا شك أنها ستختفي تحتها و تبدأ بالنمو لتعطي أوراقاً و براعم... بين HUM وOM. يوجد الجزء المتوسط MANI PADOME وقد يقابله في اللغة العربية الصمت... و للتعبير عن جمال هذا الاختبار لم يجد صوفيو الشرق تعبيراً أجمل من « الألماس على اللوتس » فتخيل وردة لوتس مزدانة بألماسة تلمع في الصباح الباكر... تعبير مجازي إلا أنه يعكس جمال هذا الاختبار.

عندما يفيض قلبك بالموسيقا الإلهية ستختبر جمال رؤية جمال الألماس على اللوتس تحت شمس الصباح... الألماس ألقه و للوتس نعومته و أنوثته التي لا مثيل لها بين الورود.

و لكن للأسف لا آثار لأية صوفية عربية منذ آلاف السنين، أما التيبت و هي الدولة الوحيدة في العالم و التي كرست كل جهودها للبحث في أعماق الإنسان قد

اجتاحتها ظلمة الحرب الباردة و وقعت تحت سيطرة الغزو الشيوعي و توجب على العاملين و الباحثين عن الحقيقة إغلاق معابدهم و الذهاب إلى العمل.

بسبب الحرب الباردة و رغبة كل من الطرفين باستمالة الصين اعترفت أمريكيا بتبعية التيبت للصين أما السوفييت فلم يعترضوا على مطالبة الصين بذلك.

لم يبذل في العالم بأسره جهود بمثل هذا التركيز للبحث في أعماق الوجود الإنساني، فقد اعتادت كل أسرة تيبتية إرسال ابنها الأكبر إلى أحد الأديرة ليتعلم التأمل و ينشأ قريباً من الصحوة، كان مفرحاً لكل أسرة بأن أحد أبنائها على الأقل يعمل و بصدق لأربع و عشرين ساعة يومياً في البحث الداخلي ... كان الجميع يعمل في الحقيقة و لكن لم يكن بمقدور الجميع التفرغ فقد توجب عليهم العمل لتأمين متطلبات عيشهم و يا لها من صعوبة في تلك البلاد... رغم ذلك حافظت الأسر على إرسال أول أبنائها إلى الدير .

كانت هناك المئات من الأديرة الفريدة و غير القابلة للمقارنة مع أي دير في العالم ... إنها أديرة لم تعنى سوى بشيء واحد و هو العمل لجعلك تعرف نفسك.

تم و عبر القرون تطوير آلاف الوسائل التي تساعد اللوتس الساكن فيك على التفتح و لمساعدتك على إيجاد كنزك الدفين في الداخل... قد تكون رموزاً لكن اجتياح بلاد كهذه يجب أن يبقى في ذاكرة الإنسان، خاصة عندما يصبح هذا الإنسان أكثر وعياً و تصبح إنسانيته أكثر إنسانية.

لا أعلم فيما لو كانت أعظم مآسي القرن العشرين هي موت الملايين في الحربين العالميتين أم اجتياح تلك البلاد الآمنة من قبل الماديين الذين لا يؤمنون حتى بوجود عالم داخلي... يؤمنون بأن الإنسان جسد و بأن وعيه ليس إلا حصيلة ثانوية لتطور المادة، وبالطبع هذا كله يفتقر للاختبارات و يقتصر على نتائج لحسابات ونظريات بلهاء.

لم يمارس أي مادي أو شيوعي التأمل و استغرب إنكارهم لوجود العالم الداخلي، أستغرب كيف يمكن لأحدهم أن يؤمن بوجود العالم الخارجي دون آخر داخلي... الداخل والخارج موجودان معاً و هما متلازمان؛ ما الخارج إلا حماية للداخل لأن الداخل حساس و شديد النعومة لكنهم قبلوا الخارج و أنكروا الداخل، و إذا حصل و قبلوا الداخل سيكون العالم محكوماً بإرادة السياسيين لاستخدامه في أعمالهم القبيحة.

عملت بعض الدول على تعليم التأمل لجنودها مما يمكنهم من القتال بهدوء و دون نوبات عصبية؛ سيقاتلون دون أن يخشوا الجنون أو الإصابة بالخوف، سيتمكنون من الاستلقاء في خنادقهم بهدوء و سكينة؛ ببرود و تماسك... لم يسبق و أن فكر أي متأمل بأنه من الممكن استخدام التأمل في شن الحروب، و لكن في أيدي السياسيين يصبح كل شيء سيئاً و قبيحاً حتى التأمل ... يعلمون جنودهم التأمل مما سيمكنهم من قتل الناس بهدوء و سكينة .

لم يدرك هؤلاء ما الذي سيقود إليه التأمل بالفعل، سيصبح الجنود غاية في الهدوء و السكينة حتى أنهم سيلقون أسلحتهم و يرفضون القتل... لا يمكن للمتأمل أن يقتل؛ لا يمكن له أن يهدم، سيدهش هؤلاء يوماً بأن جنودهم لم يعودوا مولعين بالحرب، فالحرب و العنف؛ الجريمة و قتل الملايين أمور مستحيلة بالنسبة لمن لديه درهم من تأمل، لأنك عندما تتعلم التأمل لن تتعرف على نفسك فقط بل ستتعرف على أخيك الذي يطلب منك قتله فكلاكما من المحيط الوجودي نفسه.

خطير على السياسة لكنه جيد للجنود انتشار التأمل بينهم، عندما يتعلم الجندي التأمل يصبح مريداً و ينقلب السحر على الساحر الذي لا يعلم حقيقة الأمر... لا يعلمون عن التأمل سوى أنه يجعل الناس هادئين مما سيمكنهم من الحرب دون خوف و دون تراجع، كما أنه يمنح شعورا بالأبدية مما يجعل أي شعور بالخوف يختفي...

لكن الشعور بالأبدية و الذي يمنحك إياه التأمل لن يقتصر عليك وحدك بل أن كل إنسان خالد و ما الموت سوى أسطورة، و لم القسوة الضرورية ؟ سيحيا الآخرون و لن يكون بمقدورك قتلهم و لو حتى بالقنابل النووية.

يقول كريشنا في الجايتا قولاً جميلاً « لا يمكن لأي سلاح أن يقتلني و لا يمكن لأي نار أن تحرقني » نعم يمكن أن يموت الجسد و يمكن أن يحترق لكنني لست جسداً.

يمنحك التأمل و لأول مرة في حياتك شعوراً بحقيقتك .

لو كانت الإنسانية أكثر إدراكاً و وعياً بقليل لتوجب الحفاظ على حرية التيبت و استقلالها لأنها البلد الوحيد في العالم الذي عمل لألفي عام لا لشيء سوى التعمق في التأمل، و يمكنهم تعليم العالم بأسره ما هو بحاجة ماسة إليه.

و لكن تريد الصين الشيوعية القضاء على كل شيء؛ تريد القضاء على كل شيء تم تطويره خلال ألفي عام؛

تريد القضاء على كل أساليب التأمل و على كل الوسائل المبتكرة لتطوير المناخ الروحي الذي أصابه التلوث والتسمم... و هم أناس بسطاء لا يستطيعون حتى الدفاع عن أنفسهم؛ لا يملكون أي شيء يدافعون به أنفسهم -لا يملكون دبابات و طائرات و لا يملكون أسلحة و قنابل نووية و لا يملكون جيوشاً... جيل بريء عاش هناك لألفي عام دون حروب و لم يزعج أحداً حتى أنه بعيد للغاية عن أي أحد و يصعب الوصول إلى هناك... عاشوا في السقف الأعلى للعالم حيث كانت أعلى الجبال و الثلوج الأبدية منازل لهم... لن تفقد الصين شيئاً إذا تركتهم و شأنهم لكن العالم سيتعلم الكثير من تجاربهم و اختباراتهم.

سيحتاج العالم حكماً لتجارب و خبرات هؤلاء؛ سيحتاجها العالم الذي أصابته حياة المال، القوة و القوالب الاجتماعية اتي أوجدتها الثورة الصناعية بالضجر و الملل؛ لقد أثبتت حياة تلك الأشياء فشلها... لم يعد الجنس و العقاقير قادرين على إعادة التوازن لحياة سكان الدول المتطورة المتقدمة

ويتصاعد يأس غريب يشبه الظلمة ليلف حياتهم؛ يتصاعد لديهم شعور بالتفاهة و الكآبة العميقة و هم الآن بحاجة إلى مناخ تأملي جديد يظهر في حياتهم ليبدد تلك الظلمة و يأتي بفجر يوم جديد... إنهم بحاجة لاختبار ذاتي جديد؛ إنهم بحاجة لاكتشاف جوهرهم العميق.

نعم، يجب أن تبقى تجربة الشعب التيبتي مختبراً للبحث في الداخل الإنساني و لكن، للأسف لم يحرك عالمنا ساكناً ضد هذا الهجوم القبيح على شعب آمن، و كانت النتيجة ليست فقط مهاجمته من قبل الصين الشيوعية و محاولة القضاء عليه بل و قامت بضم دولته إلى خارطته السياسية.

ثم نأتي لنسمي عالمنا متحضراً عندما يقوم أحدهم بمهاجمة شعب آمن لا يجيد حتى الدفاع عن نفسه و معه يهاجم و يدمر ما هو ذو أهمية مميزة للإنسانية جمعاء... إذا وجد في الإنسان ما هو متحضر فعلى شعوب العالم أن تقف ضد هذا الهجوم الشيوعي الصيني على تلك البلاد... إنه

هجوم المادة على الوعي؛ إنه هجوم المادة على المراقي الروحية.

لا ، لا يمكن ترجمة الموسيقا الإلهية إلى اللغات، و لا يوجد أي مقابل لما ذكرنا في أية لغة غربية ، و لا أدري قد يكون السبب هو تركيز الغرب على العلم و الحضارة المادية وإغفاله لكل ما هو داخلي، لا يمكن ترجمة الموسيقا الٌهية بل لها دلالتها و فهمها الشخصي؛ ليست الموسيقا إلهية للدندنة و الترديد الببغاوي بل هي شيء عليك أن تسمح له بالمضي عميقاً في وجودك كما تمضي جذور الشجرة عميقاً في الأرض، فكلما تعمقت جذور الشجرة في الأرض ارتفعت الشجرة أعلى في السماء... الموسيقا الإلهية بذرة عليك أن تزرعها في وجودك لتمتد جذورها إلى منابع حياتك و منها إلى الحياة الكونية في النهاية، و عندها ستنتشر فروعها و زخارف أوراقها عالياً في السما ، وعندما يأتي الوقت؛ عندما يأتي ربيعها ستمتلئ بآلاف الأزهار.

لا يمكن أن يكتمل فرح الشجرة ما لم تمتلئ بالورود؛ ستشعر الشجرة بأن شيئاً ما ينقصها ما لم تتفتح ورودها ... قد تحوز كل مقومات الثروة، الرفاهية و الراحة في العالم و لكن، ما لم تتعرف على نفسك؛ ما لم تزهر ورود اللوتس الداخلي فيك ستشعر بأنك تفقد شيئاً، قد لا تعرف بالتحديد ما هو لكن شعوراً بالنقص يقول لك «لست مكتملاً»، «لست سليماً» و « لست كما يريدني الوجود أن أكون... » سيستمر هذا الشعور بالنقص بمطاردة أحدنا و الحل الوحيد للمساعدة بالتخلص منه هو اتساع الوعي و إدراك الذات .

أجمع فلاسفة الغرب رغم اختلاف اتجاهاتهم على عدة أمور منها، الحياة ليست سوى ضجر؛ الحياة ليست سوى توتر و غضب و بأنها فوضى و لا معنى لها و أنه من غير المجدي البحث عن مساحات للسعادة فيها لأن ذلك غير موجود، و عندما يجمع عظماء الفلاسفة على ذلك فستتبعهم العامة بالتأكيد.

إن كل ما قاله هؤلاء هو... خطأ مطلق، لأنهم ببساطة لم يعرفوا التأمل و لم يدخل أي منهم إلى جوهره و ذاته، بل لم يتجاوز أي منهم عقله ... لم يصلوا حتى إلى قلوبهم فكيف و ماذا عساهم يقولون عن وجودهم ؟ ماذا عساهم يستطيعون القول عن ذوبانهم في المحيط الكوني .

ما لم يتلاشى أحدنا في المحيط الكوني كما تذوب قطرة الندى في المحيط لن يجد سموه و وقاره الحقيقي... لن تشعر قبل ذلك بأن الوجود يغمرك بفيض من أمطار الفرح و القداسة التي لا قبل لك على احتوائها، عليك إذاً أن تشارك الجميع بها... ستصبح بعد ذوبانك في المحيط الكوني أشبه بغيمة مطر تنوء بحملها الثقيل و هي بحاجة لمشاركة الآخرين به... يصبح صاحب البصيرة النافذة ممن وصلوا إلى أعماق وجودهم غيمة مطر تنشر السعادة على العالم بأسره و ليس عليه و له فقط .

تعتبر الموسيقا الإلهية أو موسيقا الصمت شكلاً مختصراً لرحلة الحج المقدس الداخلية، فهي تخبرك كيف تبدأ، ما

الذي سيحدث عندما تتفتح الورود و ما هو الاختبار النهائي و الثروة التي ستحصل عليها.

تمتاز اللغات الشرقية بقدرة عالية على التعبير المختصر مما يمكنها من صياغة تعابيرها بشكل يعتبر أقصر ما يمكن و هذا ما حصل مع تعابير موسيقا الصمت و سواها من الفلسفات المحكية، و السبب في ذلك أن الكثير منها تم ابتكاره قبل اختراع الكتابة، و عندما لا تكون هناك كتابة عليك أن تحفظ و تتذكر كل شيء و بالتالي عليك أن تكون مقتصداً قدر الإمكان، و لكن عندما أتت الكتابة إلى الوجود اختفت هذه الخاصة الاختصارية فيمكنك الآن التعبير عن موضوعك بصفحات متتالية من الكتابة و لكن تذكر: كلما كانت الرسالة التي تستقبلها أطول قلت المعاني فيها، أما عندما تتلقى برقية مختصرة من عدة كلمات لا تتجاوز العشر ستكون المعاني مركزة و كثيفة و كذلك التأثير.

و هكذا كانت رموز الموسيقا الإلهية... برقيات مختصرة تمر من جيل إلى جيل دون عناء و دون خوف عليها من الاندثار.

لا تكررها و لا ترددها... فقط افهم معانيها و اسمح لهذا المعنى بالانتشار في أعماقك... اجلس بصمت تام و هدوء تام و سكون مطلق، راقب أفكارك، في البداية سيكون هناك القليل منها لكنها ستختفي عندما تصبح صامتاً... وفجأة سيملأ صوت طنين المكان من حولك...

إنه ليس صوتك و لست من يولده !!

إنه مركز الوجود ...

إنه صوت السماوات ...

إنه صوت الكون و رمز للحياة ... إنه رقص مع الرقص و الغناء.

من الباكي ؟؟

قد يكون غريباً لكنه حقيقي... يمكن تحويل كل شيء إلى احتفال و قداس كما يمكن تحويل كل احتفال وقداس إلى مأساة... الأمر مرتبط بنا وحدنا و لكن، أيمكن أن يكون بكاؤنا احتفالاً وقداساً في لحظة معينة؟؟

في مدرسة صغيرة رسم المعلم صورة على اللوح... كان رساماً بارعاً و أراد أن يظهر لتلاميذه أن الفنان الحقيقي قادر و بلمسة واحدة تغيير كل شيء عن معنى الصورة.

كانت اللوحة تمثل رجلاً حزيناً جداً ، و بلمسة واحدة على الشفتين اختفى الحزن من كامل اللوحة و تحول الرجل إلى رجل ضاحك يبتسم، و تغير بالتأكيد كل شيء عن معنى الصورة .

وقف فجأة أحد الأولاد و قال « هذا لا شيء.»

فقال المعلم الرسام « و ماذا تعني بأن هذا لا شيء ؟ »
أجاب الطفل « يتغير كل العالم عندما تصفعني والدتي صفعة واحدة، ربما أكون سعيداً ولكن عندما أتلقى صفعتها أبدأ بالبكاء و يصبح العالم من حولي حزيناً، أنت بحاجة للوح و فرشاة و اللوحة بحاجة لرسم و تغيير، أما والدتي فلا تحتاج شيئاً. »

إذا كنت تشعر بالسعادة في البكاء فهذا جيد و لا توجد أية مشاكل، يمكن للدموع أن تكون دموع فرح و يمكن لها أن تكون دموع حب... تظهر الدموع أنك تفيض بشيء ما بدأ يتدفق من خلالها... لا يشترط أن تأتي الدموع من الحزن؛ لا يشترط أن تأتي من العذاب... يمكن أن تكون احتفالاً و قداساً و هذا معتمد علينا، علينا أن نكون كما تريد دموعنا لأننا نعلم يقيناً إذا ما كانت تلك الدموع دموع حزن؛ دموع فشل أو دموع كآبة، و نعلم أيضا فيما إذا كانت دموع فرح أو دموع حب و امتنان أو إذا ما كانت دموع صلاة .

الدموع واحد من أعمق الأسرار فينا و يمكنه التلون بجميع الألوان و هذا متوقف على وعينا و على اللون الذي نرغب بإعطائه لها .

في يوم عيد ميلاد يوليوس قيصر و بعد الفطور قدم وفد من السناترة الرومان و تمنوا عليه أن يرافقهم برحلة في عربة ليرى هديتهم له .

جعلت صلبان لمسيحيين صلبوا على طول الطريق المؤدية إلى القصر الإمبراطوري قيصر يشعر بالفرح... أثناء سير الموكب أمر الملك بتوقف فجائي و أشار إلى أحد الرجال على الصليب قال « يبدو أن ذلك الرجل على قيد الحياة، هو يبكي و شفتاه تتحركان... لأنه يقول شيئاً و أريد أن أعرف ما هو . »

رفع المرافقون الملك على أكتافهم أقرب و أقرب لكنه لم يسمع شيئاً ، و أخيراً عندما أصبحت أذنه ملامسة لشفتي الرجل سمعه يبكي و يقول « عيد ميلاد سعيد !! »

يمكن لأحدنا أن يغير كل شيء، رجل على الصليب وسيموت خلال لحظات لكنه لا يحقد و لا يتذمر و يريد قلبه أن يقول « عيد ميلاد سعيد . »

تركت هذه الحادثة على ما يبدو و هذا ما يجب أن يحدث انطباعاً عميقاً عند قيصر جعله يشعر بالخجل و الدناءة، لم يصلب المسيحيون بعد تلك الحادثة أبداً في عهد قيصر الذي شعر بالحزن و الندم على ما كان يفعل بهؤلاء الرائعين القادرين على الفرح بعيد ميلاده و قد صلبوا كهدية .

نحن من يحدد كل شيء .

اعتقد مدير كهل بأن معاونه يسرق بعضاً من سجائره في الغرفة المجاورة فناداه صارخاً « إنك تسرق السجائر.. تعال.. لقد عرفت » لكن لم يكن هناك أي جواب فكرر النداء بشكل أقوى لكن جواباً لم يأت أيضاً فذهب إلى تلك الغرفة للقاء المساعد و قال له « ألم تسمعني إلى الآن ؟ »

فأجاب « عذراً يا سيدي لم أسمع شيئاً ، يبدو كأن هناك مشكلة في السمع هنا.»

أهو كذلك ؟ اذهب إلى الغرفة المجاورة و قل شيئاً لنرى فيما إذا كنت سأسمع أم لا. »

ذهب المساعد إلى حيث طلب منه و صرخ بأعلى صوته «كان بائع هوى سمين يغازل زوجتي.»

عاد إلى المدير و سأله بارتياح و عدم مبالاة « أسمعت شيئاً يا سيدي ؟ »

أجاب المدير بخجل « أنت محق، لم أسمع شيئاً... خذ سيجارة . »

إذا منحك البكاء شعوراً بالفرح، شعوراً بالهدوء و السلام؛ إذا شعرت بعد البكاء بالاسترخاء أو بالراحة من عبء ما فهذا جيد و لا تحاول كبت الدموع و إيقافها وقعت الإنسانية في العديد من الأخطاء حول بعض الأشياء مما أفقد الإنسان طبيعته و جعله صناعياً محرفاً و لا سيما بالنسبة للرجال، حيث تفرض كل المجتمعات في العالم

على رجالها عدم البكاء لأن هذا برأيهم مخالف لأحكام الرجولة .

أما بالنسبة للنساء فلا مشكلة في البكاء و العويل فهن حسب التصنيف الاجتماعي مواطنون من الدرجة الثانية والرجال من الأولى، و بالتالي على الرجل أن يكون قوياً والدموع دليل ضعف... فإذا تابعنا تعليم الأطفال حماقات كهذه لآلاف الأعوام فماذا ستكون النتيجة؟ سنبدأ بكبت الدموع و إعادتها من حيث أتت فلا يريد أحد أن يكون ضعيفاً، أما الحقيقة فبسيطة للغاية: أعطت الطبيعة غدداً دمعية للرجال مثلما أعطت للنساء، فمن الأكثر فهماً المجتمع أم الطبيعة ؟

إذا أردنا الإصغاء للطبيعة فيجب عدم كبت الدموع و من الخطورة فعل ذلك... ما الذي يحصل عندما تكبت الدموع؟ يصبح أحدنا أقل حساسية و أقل حباً، يصبح أكثر قسوة و عدوانية و يصبح سادياً، هذا ما يسببه شيء واحد فقط و هو كبت الدموع ... يمكنك أيضاً أن تصبح عصبياً

ومعتلاً نفسياً... تعتبر نسبة الرجال الذين ينتهي بهم المطاف في المصحات و المشافي العصبية أربعة أضعاف ما هي عند النساء، و السبب هو أن المرأة تجيد استخدام الدموع والبكاء و تعرف كيف تتخلص من الضغوط و التوترات بمساعدتها.

أما الرجل فيستمر بمراكمة تلك التوترات داخله حتى يبلغ مرحلة تستحيل معها العودة، و قد يفضل عندها القفز من الطابق الستين ليجد أفضل حل مناسب !!!

هناك قصص إنسانية غريبة بالفعل... قفز أحد الرجال من الطابق الثامن عشر يقصد الانتحار، لمح أثناء هبوطه أحد أصدقائه على نافذة منزله فأومأ له بقصد التحية، رد الصديق بإشارة مماثلة و للقصد نفسه، وكان عندها صديقنا قد وصل إلى الأرض مفارقاً الحياة .

جاء الجيران إلى الصديق و قالوا « هل رأيت شيئاً ؟ » فأجاب بنعم... فقالوا « لقد انتحر صديقك !! »

فأجاب مستغرباً « أهو كذلك ؟ لا يمكن فقد مر بجوار نافذتي منذ لحظات و تبادلنا التحية ! »

منع الرجل من أن يكون طبيعياً لذلك يمكنه أن يصبح جندياً يقاتل؛ يمكنه أن يصبح شخصية قاسية تمكنه من الصراع و المنافسة في العالم، أما المرأة فلم يتوجب عليها خوض الحروب و النزاعات العالمية لذلك سمح لها بالبكاء... المسألة إذاً مسألة تفوق رجولي و على الرجل ألا يبكي.

يمكن القول و بكل بساطة أن هذا مخالف للطبيعة... قلما تجن النساء لأنهن يتخلصن من خلال الدموع من كل أنواع التوترات و لا يراكمن ما لا قدرة لهن على احتماله.

ينتحر الرجال بنسبة تعادل أربعة أضعاف نسبة انتحار النساء رغم أن نسبة النساء التي بالانتحار و لا تقدم عليه هي أربعون ضعفاً على الأقل ... بقيت النساء أقرب إلى الطبيعة بسبب استبعادهن من صراع القوة و السيطرة الذي احتكره الرجال... كثيراً ما نراه محنة سبباً للفرح.

يجعل الرجل حياته و باستمرار أكثر توتراً و عصبية حتى تصل تلك الحياة إلى مرحلة يصعب تحملها من العذاب المستمر مما قد يجعل الانتحار أفضل حل ممكن... أما النساء فيتحدثن عن الانتحار فقط أحياناً باستخدام الحبوب المنومة، أما القفز من ارتفاعات شاهقة فلا يقدمن عليه لأنه خطير ببساطة... عدة حبات منومة كافية لإرعاب الزوج و السيطرة عليه فهو يخشى أن يتهمه الآخرون بإساءة معاملة زوجته... تغط الزوجة في نوم عميق بعد تناول تلك الحبوب يأتي الطبيب ليقول للزوج « لولا قسوتك عليها لما حاولت الانتحار ... » هذا ما يحصل أحياناً عن طريق الخطأ و نظنه محاولة انتحار.

من الجميل أن نستمتع بالدموع و ألا نحتفظ بها للتعبير غن لحظات القلق، التوتر الكآبة و الحزن فهذا ليس هو الاستخدام الصحيح لها... استدع دموعك عندما تكون في حب و استدعها عندما تشعر بالسلام؛ استدع دموعك

عندما تشاهد جمال غروب الشمس و استدعها عندما تشاهد و تقابل من تحب.

عندما نقابل من نحب تعصف بنا رياح لا نألفها تحول قلوبنا عن طريق نبضها لتتركنا عاجزين لا حول لنا و لا قوة وتتقاذفنا أمواج الدموع جيئة و ذهاباً... هل شعرت بشيء شبيه بهذا في صدرك ؟ إذا كان نعم فقد عرفت الحب {انتبه : أكتب علماً و ليس شعراً} و لكن من الذي يبكي عندها ؟ من هو الباكي ؟؟

وجودك الحقيقي الأصلي هو الذي يبكي عند الحب، أما المزيف فلا يستطيع البكاء... لا يستطيع المرائي البكاء، الحقيقي وحده من يستطيع ذلك؛ وحده من يجد إليه سبيلا.

أن ترى من تحب يعني أن يلتقي قلباكما بانسجام وتوافق، و هذا يعني أنه على القلب الأضعف التغير ليصبح متناغماً مع الأقوى { تذكر قول أشو « الجنة ليست للضعفاء » } على القلب الضعيف أن يتخذ إيقاعاً جديداً و متناغماً مع

الأقوى و عليه أن يتخذ طول موجة جديد... أما الشعور بالعجز فوهم نقع فيه لأننا اعتدنا النظر للدموع و البكاء كدليل ضعف و عجز.

الدموع قوة و ليس ضعف !!

تظهر دموعك أنك لا زلت حياً و بأنك لم تجف؛ تظهر بأنك لم تفقد نسغ حياتك؛ تظهر دموعك بأن قلبك لا زال يشعر و بأنه لا زال قادراً على الرقص ... تظهر الدموع أن قلبك لا زال قادراً على أن يطير فرحاً.

تنتشر في الشرق و لا سيما في الهند كما تنتشر عندنا في أمة العرب العديد من الخرافات تحت اسم معجزات دينية تتعلق بالمعلمين... هناك في إحدى المناطق الهندية تمثال مشهور لأحد المعلمين و هو المهافير و هو معلم عاش في زمن بوذا و إليه تنسب الديانة اليانية... أتت شهرة هذا التمثال من كونه قد صنع من حجارة لم يعثر عليها في الهند و إنما عثر عليها في إفريقيا، الغريب في التمثال كما يدعي

أنصار المهافير أنه يتصبب عرقاً و في عينيه دموع و يقولون بأنه يبكي حباً لهم، و لذلك فهم يبادلونه البكاء.

قدمت امرأة إلى أوشو و قالت « لم تذرف عيناي دموعاً بفعل شيء كما تفعل بفعل دموع التمثال الحجري للمهافير.»

فأجابها بأنه قد رأى التمثال و بأنها لم تفهم الموضوع أبداً... كان التمثال في الحقيقة عبارة عن معبد صغير مقام على أعمدة في وسط بحيرة، كانت حجارة التمثال ذات مسام وقابلة لامتصاص الماء، أما البحيرة فكانت في منطقة صحراوية حارة مما جعل حجارة التمثال تمتص كمية كبيرة من أبخرة الماء المحيطة بها و بالتأكيد عند مرحلة معينة سيبدأ بعض الماء بالظهور على التمثال في الشتاء، أما في الصيف حيث جفاف الصحراء فلا و جود لشيء على الإطلاق... ثم قال للمرأة « أستغرب كيف تبكين لدموع تمثال حجري و لا تبكيك دموع الملايين في العالم، لا يفعل هذا التمثال شيئاً و إنما هي حجارة لم تألفها. »

تجعل مواقف كهذه من بعضنا غضاباً للغاية لأننا نراها مساساً بمقدساتنا و مشاعرنا الدينية و ما هي في الحقيقة إلا محاولة لجعل تلك المرأة أكثر إدراكاً لأهمية الدموع، فإذا كانت قادرة على البكاء بفعل وهم دموع تمثال حجري فماذا عن الوجود الإنساني ؟

لكن الدموع هي أحد أشيائنا المكبوتة... نقل عن فريدرك نيتشه قوله بأنه كان يحافظ على ابتسامة دائمة لأنه يخشى أن تجتاح الدموع عينيه بغيابها ، أنها غطاء كاذب إذاً يستخدمه لإخفاء الدموع الحقيقة و منعها من الظهور... هذا طبيعي بالنسبة لرجل ألماني... فكيف يمكن لرجل ألماني أن يبكي و يذرف الدموع ؟!!!!

بنسب أكثر أو أقل نعتبر جميعا ألمانيون كنيتشه حيث تقودنا نظرية الذكورة و نحاول إثبات و فرض التفوق الذكوري... لكن الدموع أثمن من ذلك بكثير من السيطرة الذكورية التي هي اختلاق عانى الرجال منه

طويلاً... اسمح للدموع بالظهور فهي ليست دليل ضعف وإنما دليل الفرح العظيم.

و تسألني من الباكي... إنه آت؛ إنه وجودك الحقيقي؛ إنه وجودك العميق حيث لا رجال و لا نساء؛ إنه وجودك العميق و ليست بطاقتك الشخصية...

يقول الشاب لوالديه في المنزل إني مغادر أريد الثمالة و أريد النساء ... أريد المغامرة !!

ينهض الوالد العجوز من الكرسي.

يبكي الشاب و يقول ... لا تحاول منعي يا والي فيجيب لا أريد منعك بل إني قادم معك.

كل ما نحتاجه هو القليل من الفهم الإضافي لمشاعرنا وعواطفنا فلكل منها مكانه و وظيفته في تحقيق التناغم الكلي لوجودنا، لكننا و للأسف لا نزال نحافظ على جهلنا بإمكاناتنا و أبعادنا... القليل من التنبه و اليقظة وتذكر: الطبيعي هو الأسمى و غير الطبيعي هو المزيف والدخيل.

أراد أحد الحاخامات أن يجرب حظه بالمقامرة لأول مرة في حياته... هب إلى ميدان سباق الخيل، و قبل بداية السباق الأول رأى كاهناً يرسم إشارة غريبة على أحد لأحصنة ثم قامر عليه بدولارات عشر... انتهى السباق الأول و فاز الحصان مما جعل الحاخام يطمئن.

تابع صديقنا مراقبة الكاهن فرآه يرسم إشارات غريبة على حصان آخر فقامر عليه بخمسين دولاراً... جرى السباق ففاز الحصان و أكسب الحاخام خمسمائة دولار .

تابع مراقبة الكاهن ليختار حصاناً جديداً و هذا ما حصل، رسم الكاهن إشاراته هذه المرة على حصان ثالث فقامر الحاخام بالدولارات الخمسمائة كلها... بدأ السباق فتعثر الحصان على الحاجز الأول و مات .

ذعر الحاخام لما حصل فذهب إلى الكاهن ليحتج فأجابه الأخير« لا أستطيع فعل شيء إذا كنت لا تعرف الفرق بين إشارة الصليب و غيرها.»

هناك الكثير من سوء الفهم، فقد لا نعلم الحقيقي من الوهمي؛ فقد لا نعلم ما الذي فرضه الآخرون علينا و ما الذي وهبنا إياه الوجود كهدية.

عليك أن تميز و تختار الطبيعي دائماً و حتى لو كان مخالفاً للأعراف، للأديان و للثقافات... لا تقلق... اقبل كل طبيعي فالتدين الحقيقي غير موجود؛ اقبل الوجود فالمقدس الحقيقي غير موجود.

فقط راقب... في داخلك توجد الطبيعة؛ هناك في داخلك يوجد الوجود، اتبعه فقط و لن تضل السبيل... أن تكون روحانياً حقاً معناه أن تكون طبيعياً؛ أن تكون روحانياً حقاً معناه أن تكون متناغماً مع الوجود.

شكر وصلاة و سلام

هل يمكننا اعتبار فرح أحدنا عربون شكر و امتنان تجاه الوجود ؟ أم أن العكس هو الصحيح ؟ نفرح أولاً ثم يأتي الشكر ثانياً ؟

يأتي اختبار الفرح أولاً؛ تأتي أولاً حالة من الوعي تجعل ورودنا في أجمل تفتح ممكن لها؛ حالة تصبح فيها النشوة الغامرة حالة طبيعية... يغمرنا رقص عظيم وسلام عظيم، يشرق فينا صمت عميق و هدوء؛ إنه صمت الزهور و ليس صمت القبور؛ إنه صمت مملوء بالحياة وينبض مع القلوب ... إنه اختبار الفرح الغامر ... و بعد أن يغمرك شعور الفرح هذا يفيض داخلك بشعور من الشكر و الامتنان تجاه الوجود الذي جعل اختباراً كهذا ممكناً بالنسبة لك .

فرح و شكر... هذه هي الصلاة الحقيقية، أما تلك التي تقام في دور العبادة أمام التماثيل الحجرية للّه فهي صلوات

مليئة بالطمع لأنها سؤال و طلب لشيء ما، و عندما تطلب شيئاً فهذا يعني أنك تشكو وتتذمر من شيء آخر تطلب من الله إصلاحه ... صلوات المعابد لا شكر فيها و لا امتنان بل على العكس فيها إشارات لعدمه.

أن تطلب شيئاً يعني أنك لم تحصل على ما تستحق؛ يعني أن هناك حقاً متأصلاً فيك لم يقدم لك فتلقي بالمسؤولية عندها على الوجود.

بدلاً من نفيض امتناناً تجاه ما أعطي لنا نمتلئ طمعاً بما يطالب به طمعنا؛ تجاه ما يريده طموحنا و عصابيتنا وبالاتجاه الذي تقودنا إليه رغباتنا... إن الصلاة فيما يسمى معابداً و دوراً لله ليست صلاة حقيقية بل صلاة تفوح منها رائحة الطمع، الرغبات و الشهوة.

لا يدرك معنى الصلاة الحقيقية سوى المتأمل الذي لا يوجهها لإله افتراضي لا وجود لدليل على وجوده... نعم، هناك دليل واضح على الورع و على التقوى... هناك نوع من القداسة في شروق الشمس عند الصباح؛ هناك نوع من

الألوهية في السماء ذات النجوم و في جمال الطيور تحلق بجناحيها؛ هناك ألوهية و قداسة في الزهور و الأشجار وهناك شعور بالتقوى في المحيطات و البحار .

هذا الكون كاف و مكتف بنفسه ولا يحتاج لأي إله، أما إله فعزاء يقوده الجاهل ليبرر جهله و ضعفه، أما المتأمل فيواجه الكون و الوجود؛ يصبح و جود المتأمل اختباراً للقداسة و الألوهية بحد ذاتها و يعلم بوجوده الداخلي أنه جزء من الحياة الأبدية، يعلم أنه لا وجود لأي موت في أي مكان ...وما هي نتيجة اختبار كهذا ؟ يرقص داخلك و تشرق فيه رقصة غاية في الرقة العذوبة، يشرق فيك شكر عميق؛ شكر لا لأحد بل للكون بأكمله... شكر للنجوم و للأشجار، شكر للأرض و للقمر و شكر لكل الحيوانات و البشر... شكر غير موجه.

ما لم يختبر أحدنا و يتعرف على الامتنان غير الموجه لن يكون قادراً على فهم المعنى الحقيقي للصلاة، أما الآن فنستخدم الكلمة « صلاة » بمدلولها الخاطئ و علينا

استخدام الكلمة « ورع أو خشوع » بدلاً عنها، كما استخدمنا الكلمة « ألوهية و قداسة » بدل الكلمة لإله أو آلهة.

في أحد الكتب عن أهم عظماء الإنسانية و عندما أراد الكاتب أن يتحدث عن بوذا كتب شيئاً رائعاً « بوذا هو الرجل الأكثر ألوهية » لم تعترف البوذية بوجود أي إله لكنها تؤمن بأن كل شخص يمكنه أن يصبح إلهاً... كل ما تحتاجه لتصبح إلهاً هو أن تدرك كل قدراتك إدراكاً كاملاً، أما البذرة فموجودة بذاتها؛ إنها في رحم ذاتها والنتيجة هي الإزهار الكامل لجنة الورود.

يمكن أن يكون في الوجود آلهة بعدد ما فيه من موجودات حية شريطة أن يبلغ كل شخص احتماله الأعظم، أما فكرة وجود إله واحد قد خلق العالم بأسره فدكتاتورية، تعصبية وفاشية... إله واحد خطير جداً على جميع مبادئ الديمقراطية و عند قبولنا بفكرة خالق واحد للوجود نكون قد حرمنا الإنسان من بهائه و من جماله و حريته

وحولناه إلى مجرد دمية تتحرك... إذا كان اللّه هو الخالق فلن نتمكن من الحصول على أية حرية؛ إذا كان هو المتحكم بالعالم فأي معنى للحرية عندئذ ؟ و ماذا نفعل بأنفسنا عندها ؟

هناك اعتقاد شائع و إيمان راسخ مفاده أنه لا يمكن حتى لورقة من شجرة أن تتحرك دون إرادة إلهية و نعتقد أننا في قمة التدين عندما نسلم بمقولات كهذه، إذا كانت الحقيقة كذلك فماذا عنا و عن حريتنا ؟ نحن إذاً دمى تتحرك بخيوط تمسكها يد إله لا نعرفه، فإذا أراد لنا التعاسة سنكون كذلك و سنكون في غاية السعادة إذا أراد لنا ذلك... لا، ليس الإنسان من تليق به حياة كهذه ومعاملة كهذه، و بسبب هذا و غيره كنا و لا زلنا متسولين شحاذين.

هناك معلمون و منهم بوذا لم يعترفوا بوجود اللّه لأنهم أرادوا للإنسان أن يستعيد بهاءه و كرامته و مكانته واحترامه لذاته و يصبح بذلك ملكاً، أما الاستسلام لإله

واحد و حرية الإنسان لا يمكن أن يجتمعا... لم يأت إنكار هؤلاء بدافع الإلحاد بل بدافع الحب للحرية العظمى، و هذا مختلف بالطبع عما نألفه من مواقف المنكرين الملحدين فلا علاقة لهؤلاء بحرية الإنسان و إنما يريدون قيادته إلى الفجور و يقولون « كل و اشرب كما يحلو لك، تزوج كما يحلو لك فلا إله يحاسبك و لا حاجة بك للخوف و لا حاجة لتحمل أية مسؤولية تجاه الحياة و لا حتى تجاه نفسك .» و بالتالي يحولن الإنسان إلى حالة من البلادة فقد أنكروا الجوهرة الداخلية و رفضوا كل شيء عن الروحانية.

إذا لم يكن ذلك الموحد ملحداً فهل هو موحد بالضرورة ؟ لا أيضاً، لم يفترض بوذا وجود أي إله وهمي ليقوم بعبادته، بل على العكس تماماً وجه الإنسان ليكف عن النظر خارجاً و البحث عن الألوهية في السماء و التوجه للبحث في الداخل، فلا حاجة للبحث في الخارج لأنه لا وجود لأي شيء هناك... ابحث في الداخل فإذا استطعت

ذلك بعينين مغمضتين و بصمت عميق فلا شك أنك ستبدأ باختبار أبعاد جديدة من الحياة و الوجود... حياة لا يمكن تسميتها سوى قداسة؛ لا يمكن تسميتها سوى ألوهية، شيء يتجاوز المادة بكل أبعادها و قوانينها فأنت لست مادة و لا تنتهي عند حدودها.

قد تكون المادة أساساً للحياة لكنها ليست نهاية لها و لا هي غايتها القصوى، قد تكون المادة جذوراً للشجرة لكنها ليست ورودها، و ما دمت غير قادر على اختبار الوعي المتفتح فيك فلن تكون قادراً على اختبار السعادة الغامرة.

السعادة الغامرة هي الهدف النهائي و الاختبار النهائي لقدومك إلى هذه الحياة؛ إنها الاختبار النهائي لشعورك بالطمأنينة مع الوجود و هي الاختبار النهائي لذوبانك بالوحدة الكلية و التناغم الكلي.

عندما يخفق قلبك بخفقان قلب الوجود؛ عندما تصبح رقصتك الصغيرة جزءً من الاحتفال الوجودي الكبير حولك

و عندما تصبح جزءً من هذه القداسة التي تسمى وجوداً يفيض من داخلك شكر و امتنان عظيمين، لست بحاجة لفعل شيء بل ستجد كل شيء يفيض كما يفيض العطر من الزهور ... إنه شيء تلقائي؛ إنها صلاة.

حدث أن أخبر Leo Tolstoy' رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذوكسية في روسيا بأن الآلاف من المواطنين تزور ثلاثة قروين مغمورين تماماً في جزيرة صغيرة في بحيرة منهم بأن هؤلاء الثلاثة قد أصبحوا قديسين ... دفع هذا رئيس الأساقفة للشعور بالغضب لأن القوانين المسيحية تفرض موافقة الكنيسة قبل أن يدعى أحدهم قديساً... أيمكنك تصور غباء كهذا ؟ هذا ما حصل لقرون طويلة، حتى أن الأصل الإنكليزي لكلمة قديس مشتق من مفردة معناها « تصريح من الكنيسة » و كأن المسألة مسألة ذهاب للجامعة للحصول على لقب أو شهادة.

لا يمكن منح شهادة في القداسة، و لا يوجد من هو مؤهل لإعلان قداسة أحدهم لأن القداسة حالة ذاتية تعبر عن

نفسها بنفسها و لن تتعرف عليها إلا عندما تراها وتدركها؛ لن تتعرف عليها إلا عندما تشعر بها و ليست بحاجة لقبول آخر أو لإذن من أحد.

لكن رئيس الأساقفة كان غاضباً و كان يقول « كيف يمكن لثلاثة قرويين حمقى أن يصبحوا قديسين دون إذن مني ؟! » لكن الناس لم يتوقفوا عن زيارة الجزيرة بل تابعوا ذلك دون الذهاب إلى حضرة المسؤول الديني الكبير.

قرر رئيس الكنيسة أخيراً الذهاب بنفسه ليرى ما الذي يجري على الجزيرة، لذلك استقل زورقاً آلياً و مضى... كانت الجزيرة صغيرة جداً و لم تكن فيها سوى شجرة واحدة جميلة و في ظلها جلس الرجال الثلاثة.

بالنظر إليهم أدرك رئيس الأساقفة بأنهم أناس غير مثقفين و تساءل عمن أشاع هذه الشائعة و دهش لسذاجة أناس يأتون لرؤية هؤلاء... عند هبوطه على الجزيرة سعد لمبادرتهم بالانحناء أمامه للتحية ثم قال « أأنتم القديسون الثلاثة الذين تتحدث عنكم البلدة بكاملها ؟ »

فأجابوا « لا نعلم شيئاً، يأتي الناس لزيارتنا و لا نستطيع منع أحد من ذلك، كل ما نعرفه هو أننا في رضى تام ومطلق؛ كل ما نعرفه هو أنه لم تعد هناك أية رغبات و لم يعد هناك أي طموح... الحياة فرح عظيم و نحن مستمتعون بها، لا نعلم شيئاً أكثر من ذلك فنحن قرويون و لسنا على درجة من الثقافة.»

سر الزعيم و قال « و لكن أي نوع من الصلاة تؤدون ؟ »

نظر الثلاثة إلى بعضهم بخجل و ارتباك ثم أجاب أحدهم أخيراً « لا نؤدي الكثير من الصلاة، لقد ابتدعناها لأنفسنا و لا نعلم ما الصلاة المقررة من الكنيسة وسنخبرك بأي شيء نفعله. »

تؤمن المسيحية بالثالوث الإلهي المقدس « الآب، الابن والروح القدس » ثلاثة قرويين و ثالوث إلهي مقدس، هذا ما جعل القرويين يظنون بأن صلاتهم هي « أنت ثلاثة و نحن ثلاثة، يا لها من نعمة أنعمتها علينا و لا نعلم أكثر من ذلك. »

غضب الرئيس و قال « ليس هكذا يتصرف المسيحي و كيف تجرؤون على ابتداع صلاة غبية كهذه ؟ سأعلمكم الآن على النسخة الحالية التي اعتمدتها الكنيسة. »

فقال الثلاثة « سنكون في غاية الشكر و لكن اجعلها قصيرة قدر الإمكان لأننا غير مثقفين و لا نستطيع تذكر النصوص الطويلة. »

فقال « عليكم تذكرها » فأجابوا « سنحاول. »

تلى الرجل الصلاة كاملة لكنها كانت طويلة بالفعل، وعند انتهائه قال أحد الرجال « عليك أن تكررها ثلاث مرات على الأقل لأننا ثلاثة، كن لطيفاً و طيب القلب لنتمكن من حفظ الصلاة. »

كررت الصلاة مرات ثلاث و أصغى الرجال بصمت مما جعل رئيس الأساقفة في غاية الفرح و قال « أنتم رجال طيبون و لكن عليكم تعلم الصلاة التي علمتها لكم. »

ثم غادر الجزيرة مستقلاً قاربه الآلي.

و لكن عندما أصبح القارب وسط البحيرة رأى قائده شيئاً كالغيمة يقترب منه بسرعة، و لم يكن قادراً على تصور ما يجري... رأى الرجال الثلاثة يقتربون منه راكضين على الماء و قالوا « انتظر من فضلك، لقد نسينا الصلاة و عليك أن تعيدها ثلاث مرات أخرى على الأقل. »

عند رؤيته لهم يسيرون على الماء فكر رئيس الأساقفة «ربما للم يكن من الضروري القدوم و إقلاق راحة هؤلاء الرائعين» ثم قال « اعذروني للتدخل في حياتكم، تابعوا صلاتكم القديمة التي سمعت أما صلاتي فلم تسمع بعد، لم تسمع لأنها ليست سوى صلاة عقلية لإله وهمي أما صلاتكم فقادمة من القلوب، ليست صلاتكم سؤالاً لشيء ما و إنما شكر و عرفان تجاه سعادتكم ورضاكم و لا تملكون سوى هذا الرضا و هذه السعادة... سعادتكم كافية و أي طريقة تختارونها للتعبير عن شكركم صحيحة و كافية و رائعة أما صلاتنا فلا حاجة لكم بها، على العكس فأنا أشعر بالتعاسة لأنني فقدت حياتي

بقراءة و تعليم و مراكمة النصوص المقدسة لكنني لا أستطيع السير على الماء... لقد سمعت صلاتكم البريئة والبسيطة. »

لست بحاجة للإيمان بأي إله لتتكون متديناً بل عليك أن تكون متديناً لتتعرف على الألوهية الساكنة فيك، لكن أدياننا تضع الثور خلف العربة مما أدخل إنسانيتنا في معاناة دائمة حيث لا نمو ولا تقدم... و لا أي نهضة روحية.

عندما يذوب تدينك في دوامة الوجود؛ عندما ينصهر فرحك بها، عندما يصبح اختبارك لداخلك و لجوهرك جزءً من الوجود ستكون قادراً على أن ترقص صلاة و ستكون قادراً على أن تغني صلاة، لا تحتاج صلاتك شيئاً عقلياً بل يجب أن تفيض من وجودك بعفوية وتلقائية... و عندها تكون صلاتك شكراً بسيطاً.

لن تكون شكراً لأي إله فلا وجود لإله شخصي بل ستكون شكراً للكون بأسره.

إن الكون حكيم ... إنه إلهي و مقدس .

لا ، الفرح الغامر ليس تعبيراً عن الامتنان للوجود ، بل العكس الامتنان تعبير عن الفرح الغامر... كيف لك أن تعرف ما الشكر قبل أن تختبر الفرح ؟ ستشكر ماذا ؟

من الأفضل وضع الأشياء في ترتيبها الصحيح، و لذلك يأتي أولاً البحث عن تلك اللحظات النادرة التي تكون فيها متناغماً مع الوجود ، ابحث و تحرى في المسار الداخلي لتكون قادراً على معرفة من تكون.

معرفة من تكون؛ معرفة نفسك هي الدين الكامل و ما سواها هوامش و إضافات.

عرف سقراط الدين الحقيقي الجوهري بتعريف بسيط لا يتعدى الكلمتين « اعرف نفسك. »

كلمتان تختصران كل النصوص المقدسة في العالم وتختصران كل الاختبارات الداخلية التي توصل إليها الذين تعرفوا على أنفسهم، في اللحظة التي تتعرف فيها على نفسك تكون قد تعرفت على أنفس شيء في الوجود؛ تكون قد تعرفت على وعيك و على فرحك... تكون قد

تعرفت على أجمل شيء في الوجود؛ شيء لا يكاد يصدق، تكون قد تعرفت على الموسيقا الإلهية، تكون قد اختبرت مالا يمكن تسميته إلا موسيقى الصمت... الألماس في اللوتس... اختبار لجمال لا تمكن رؤيته بالعيون المفتوحة، اختبار لموسيقا لا يمكن سماعها بالآذان العادية لكنها هناك في المركز العميق و ما عليك سوى السفر إليها .

أنصحك ألا تعير انتباهاً لأي نص أو كتاب؛ أنصحك ألا تصغي لأي كنيسة أو مسجد أو معبد و ألا تبالي بأي نظرية فلسفية أو لاهوتية.

الدين ليس إلا أمراً بسيطاً و متواضعاً ...

امض إلى الداخل فقط .

اعرف نفسك فقط وكن أنت... و عندها سيغمرك فرح غامر يعادل انهمار آلاف الورود عليك، و عند اختبار كهذا فقط يشرق فيك شكر عميق، أما قبل اختبار شيء من القمة فلا معنى لأي شكر أو امتنان .

شكر فرح... فرح و شكر و صلاة... هذه هي لغة الوجود، و لكن هل في الوجود ألم و هل فيه اعتلال ؟

في الحقيقة أمور كهذه غير موجودة، فلا يعرف الوجود سوى الروعة و التكامل و الكمال، لا يعرف إلا الصحة أما أمراض و اعتلالات فلا يعرفها... و لا يعرف الوجود الموت... أن تتجاوز عقلك و قلبك يعني أن تتجاوز ثنائية الوجود و هذا التجاوز هو الذي يقودك إلى وجودك.

يعني الوجود ببساطة أن تتحرر من غرورك « الأنا » و الذي هو جزء من عقلك و أن تتحرر من العزلة التي هي جزء من قلبك و تكون بذلك قد تحررت من الحواجز و العوائق التي تفصلك عن الكلية، و عنها فقط تنساب قطرة نداك من أوراق الورود لتذوب في المحيط ... لقد اتحدت به .

عندما تتحد القطرة بالمحيط تبلغ و لأول مرة في حياتها قمة قممها و هذا ما تحققه عندما تتحد بكلية الحياة والوجود و هذه هي طبيعتك .

قدم النفساني وليم جيمس تسمية جديدة للاختبار الروحي و هي « الاختبار المحيطي » و كان محقاً تماماً في ذلك، فالاختبار الروحي هو اختبار التوسع غير المتناهي حيث تختفي كل الحدود، لقد جاءت اللحظة التي لن ترى بعدها أية حدود لك؛ لقد أصبحت منذ اليوم المحيط بكامله ... لا زلت أنت و لكن لا سجون بعد اليوم، أنت لا زلت أنت و لكن لا أقفاص بعد اليوم... لقد خرجت من القفص؛ لقد خرجت من سجنك و ها أنت تحلق بجناحيك نحو السماء بحرية مطلقة.

الطائر في القفص مختلف تماماً عن شقيقه الذي في السماء فذاك الذي في القفص فقد حريته؛ فقد سماءه الواسعة و فقد فرح الرقص مع الريح و مع الأمطار؛ فقد فرح الرقص مع الشمس... ربما نسكنه قفصاً ذهبيا لكننا سلبناه بهاءه؛ سلبناه حريته و فرحه و حولناه إلى سجين، قد يبدو كالطائر في السماء شكلاً لكنه في الحقيقة مختلف تماماً.

الإنسان المقيد بحدود الحس، الفكر و القلب هو سجين بجدران فوقها جدران فوقها جدران .

وصف أوشو آخر سجن اعتقل فيه في الولايات المتحدة قائلاً بأنه ذو ثلاثة أبواب و قد شيد باستخدام تكنلوجيا فائقة التطور... كان كل شيء في السجن إلكترونياً، كما كانت الأبواب الثلاثة فائقة الضخامة مما جعل من المستحيل بمكان على إنسان تجاوزها إضافة إلى أنها مكهربة بحيث يؤدي مجرد لمسها للموت... كانت الأبواب متتالية و لا تفتح إلا باستخدام متحكم إلكتروني يحتفظ به السجان في سيارته... يضغط السجان المفتاح فتفتح البوابة الأولى الأشبه بجبل حديدي، عند دخول السيارة من الباب الأول عليها الانتظار حتى يغلق ليعمل المتحكم الإلكتروني على فتح الباب الثاني، أما الثالث فلا يفتح حتى يغلق الثاني .

قال أوشو للسجان و هما يدخلان عبر هذه السلسلة من الأبواب « من الممكن أنك لم تدرك بأنك بدخولك عبر هذه الأبواب تعبر عن رمز ذي معنى .»

فقال « رمز ماذا ؟»

فقال أوشو « الجسد هو الباب الأول، الفكر هو الباب الثاني أما القلب فهو الباب الثالث و خلف هذه الأبواب الثلاثة تقبع الروح المسكينة... إنها حالة الإنسان؛ هو رمز الإنسان. »

فقال السجان « أظنها مجرد صدفة و لا أعتقد بأن أحداً قد فكر بذلك، إنها ثلاثة أبواب و لا أدري لما هي ليست أربعة. »

لكن أوشو عاد و قال « كائناً من كان من بنى هذا السجن فمن الممكن أنه قد أدرك في لا وعيه حالة التماثل و التطابق بين الوعي الإنساني السجين و بين إعداد السجون للبشر...»

عندما نتجاوز الجسد و هي عملية ليست بتلك الصعوبة، لأن الجسد جميل للغاية و لا زال متوافقاً مع الطبيعة إلى حد ما مما يدفعه لعدم إبداء المزيد من المقاومة نصطدم بالمشكلة الحقيقية وهي الفكر... الفكر هو المشكلة الحقيقية لأنه وليد المجتمع الإنساني و قد خلق ليجعلك مستعبداً على الدوام... الجسد جميل لأنه لا زال طبيعياً؛ لا زال جزءً من الأشجار و الجبال؛ لا زال جزءً من النجوم والمحيطات و لم يصبه التسمم الاجتماعي تقريباً... لا زال يقاوم التسمم بالأديان و بالمعابد و كهنتها، أما الفكر فقد وقع فريسة كل هؤلاء ممن أمطروه بحقائق خاطئة... أصبح الفكر أشبه بقناع يختفي وراءه وجهنا الطبيعي الأصلي.

أما أن تتجاوز الفكر فهو في الحقيقة ما يشكل فن و موضوع التأمل، و قد كرس الشرق عشرة آلاف عام لموضوع واحد هو كيف لنا أن نتجاوز الفكر و شروطه...

و لقد أفضى هذا العمل المتواصل في النهاية إلى الذروة الذهبية التي ندعوها تأملاً.

التأمل بأبسط تعريف له هو مراقبة الفكر، فإذا تمكنت من مراقبة فكرك بهدوء و صمت تامين و دون أي تبرير أو إعجاب و دون أية إدانة أو حكم – مع أو ضد – مراقبة فقط كما لو أنه لا علاقة بينك و بين فكرك، كما لو أنك تراقب حركة المرور فيه – تقف على جانب الطريق وتنظر فقط، و هنا تحدث معجزة التأمل حيث يبدأ الفكر بالاختفاء التدريجي البطيء .

فور التخلص من الفكر و تجاوزه نصل إلى الباب الثالث والأخير و هو رقيق و ضعيف جداً كما أنه لم يتلوث بتأثير المجتمع أيضاً... إنه القلب، و فور وصولك إليه يفسح الطريق أمامك و لا يبدي ممانعة تذكر ... إنه مستعد دائماً لاستقبالك ليفتح الباب أمامك لتمضي إلى الوجود ... إنه صديقك .

العقل عدوك و الجسد صديقك أما القلب فصديقك أيضاً و بين الصديقين يقف العدو كجدار بارتفاع جبل، و لكن يمكن تجاوز هذا الجبل بطريقة سهلة أسماها بوذا «فايباسانا» و دعاها آخرون «دهايان» و عرفت باليابانية «زن» و في الإنكليزية «Meditation» أما في العربية فهي «تأمل» و لكن مهما كانت المعاني غير الشرقية فلا يمكن لها أن تعطي المعنى الدقيق لتلك الكلمة و ما الترجمات المعجمية إلا استخدامات اعتباطية.

فعلى سبيل المثال اعتدنا على تعريف التأمل بأنه تفكير في شيء ما، فعندما نسمع نحن العرب أو الغربيين كلمة تأمل نبادر للسؤال «تأمل على ماذا ؟» و السبب في ذلك أن التأمل لم يبلغ في هذه المناطق درجة « دهايان أو زن » كما هو الحال في الشرق... فكيف نتأمل على شيء، أي نفكر به و التأمل بكامله قائم على اختفاء الفكر و التفكير ؟!

التأمل ببساطة وعي و يقظة و ليس التفكير بشيء ما أو التركيز أو التفكر... تتعامل المصطلحات المعجمية للتأمل مع شيء ما لكنه في الحقيقة حالة من الوعي و الإدراك.

لاحظ المرآة، هل تعتقد بأنها تركز على شيء محدد ؟ لا فهي تعكس كل ما تصادفه أمامها... سواءً أكانت أمامها امرأة جميلة أم قبيحة أم لم يكن أمامها أحد... لا تعرف المرآة سوى عكس ما تصادفه و هكذا التأمل انعكاس لأفكارك فأنت تراقب كل ما يحدث أمامك.

فقط بهذه المراقبة البسيطة سيختفي الفكر إلى الأبد... لطالما سمعنا بالمعجزات لكنها المعجزة الوحيدة و ما سواها من معجزات ليست سوى قصصاً.

يسير المسيح على الماء، يحول المسيح الماء إلى خمر كما أنه يحيي الموتى... جميعها قصص جميلة شريطة أن نفهمها برمزيتها لتعطي دلالتها العظيمة، أما الإصرار على أنها حقائق تاريخية فغباء ببساطة... قصص جمالها برمزيتها.

رمزياً، يعمل كل معلم لإعادة الأموات إلى الحياة... ماذا يقصد أوشو من كل أقواله، محاضراته و كتبه ؟ إخراج البشرية الميتة من قبورها إلى النور ثانية وهذا ما اعتدنا سماعه عن المسيح... لكننا اعتدنا على حياة القبور لأعوام و حيوات طويلة لذلك نرفض الخروج منها و نقول « ماذا يريد هؤلاء منا ؟ هذه حياتنا ومنازلنا و لقد عشنا هنا آمنين لعصور فلم الإزعاج ؟ »

رمزياً، يحاول كل معلم منحنا حياة جديدة، أما الآن فلا تبدو علينا ملامح الحياة الحقيقية و إنما حياة بطيئة لإنجاز الوظائف الحيوية لا غير.

ورد في النصوص الصوفية قصة غريبة تجاهلها المسيحيون تماماً من نصوصهم.

أتى المسيح إلى مدينة و قد زارها من قبل، و عند وصوله رأى رجلاً يعرفه، كان هذا الرجل أعمى و قد عالج المسيح عينيه... كان الرجل يطارد عاهرة فأوقفه المسيح وسأله « أتذكرني ؟ »

فأجب لرجل « أذكرك ولا أستطيع أن أغفر فعلتك، كنت أعمى و كنت في غاية السعادة لأنني لم أرى أي جمال من قبل، منحتني عيوناً و عليك الآن إخباري ما الذي علي فعله بهما و هما تتجذبان نحو النساء الجميلات ؟»

صدم المسيح بما سمع و لم يستطع تصديقه ثم فكر «كنت أظن بأني صنعت معروفاً مع هذا الرجل و هو الآن غاضب و يقول « لم أفكر بالنساء قبل أن منحتني عيوناً ولم أعلم بأن هناك عاهرات، لكنك دمرتني منذ منحك تلك العيون لي !»

غادر المسيح الرجل دون أن يقول شيئاً فلم يكن هناك ما يقال، لكنه بالكاد غادر حتى لقي رجلاً آخر و قد استلقى في قناة لمياه غير نظيفة و أخذ يشتم بكل أشكال الشتائم و التفاهات، إنه ثمل تماماً... رفع المسيح الرجل من القناة فعرفه فوراً فقد منحه أرجلاً من قبل، فسأله أعرفتني؟

فأجاب « رغم أنني سكران إلا أنني عرفتك و لا أستطيع أن أغفر لك ما فعلت... أنت من أقلق هدوء حياتي، دون أرجل لم أكن قادراً على الذهاب لأي مكان و كنت لذلك أنعم بالسلام، فلا صراع و لا مغامرات و لا حاجة للبحث عن أصدقاء، لم أكن بحاجة للذهاب إلى الحانات... أعطيتني أرجلاً و لم أجد لحظة سلام بعدها... أطارد هذا و ألاحق ذاك ثم أسكر عندما أتعب، ها أنت ترى ما الذي يحدث و أنت المسؤول، كان عليك أن تخبرني عن كل شيء يمكن أن أواجهه، لكنك و ببساطة أعطيتني أرجلاً دون أن تطلب موافقتي ! »

غادر المسيح المدينة دون أن يتقدم أكثر و تساءل « من يدري أي نوع من الناس سأقابل ؟» و عند أطرافها لقي رجلاً يحاول شنق نفسه بالتدلي من شجرة فقال له « انتظر... ما أنت فاعل ؟»

فأجاب « هذا أنت و قد أتيت ثانية ، كنت ميتاً و أرغمتني على العودة للحياة مرة أخرى... فقدت عملي، غادرتني

زوجتي لأنها اعتقدت بأنه لا يمكن إعادة رجل قد مات إلى الحياة و تظنني الآن لست سوى شبح، لا يريد أحد مقابلتي و يعرض عني الأصدقاء، أذهب إلى المدينة فلا إلي أحد... ماذا تريدني أن أفعل... و عندما أقرر العودة إلى الموت أراك أمامي من جديد، لماذا تحاول الانتقام مني ؟ هلا تركتني وحيداً، أريد العودة إلى الموت... كنت ميتاً فأحييتني و دون شك إذا مت ثانية فستعيدني للحياة... تستمتع بفعل المعجزات و لا تبالي بمن يعاني بسبب معجزاتك. »

عندما ننظر إلى هذه الحادثة كقصة سنحبها دون شك وعلينا جميعاً التعرف عليها... أما المعجزات فهي غير موجودة و لا توجد سوى معجزة واحدة و هي التأمل {صحيح أن هناك بعض الظواهر الغريبة كالسير على الماء والتربع في الفضاء و ما شابهها، لا تعتبر أشياء كهذه معجزات و إنما مهارة في استخدام الطاقة و علومها، وهناك ظواهر أخرى تحدث مع أهل الذكر و تسمى كرامات إلهية و هي في الحقيقة ملكة جماعية لكنها لا

تظهر إلا بعد فترة من اتباع العادات التدينية الصحيحة كعدم الكذب و المجاملة و عدم الحلفان بالله و عدم دعائه و عدم ذكره بالطرق المألوفة... و لكن كما تقول مريم يجب إزالة هذه الكرامات و كبتها لأنه لا جديد فيها و لا تشير إلى شيء من جهة و تتسبب لصاحبها بزيادة الاستكبار و الذي يعتبر ثاني أصعب عقبة بعد الكبت الجنسي تواجه الإنسان في رحلته الحياتية و الدينية من جهة أخرى }

معجزة التأمل وحدها من يستطيع تحريرك من الفكر أما القلب فمستعد دائماً للترحيب بك؛ إنه مستعد ليمنحك طريقاً نحو وجودك و وجودك هو كليتك و هو قمة قممك.

آلام الرأس ممكنة و آلام القلب كذلك لكن الابتعاد أعمق غير مقبول، أبعد من ذلك لا يوجد أي ألم أو معاناة... تجد أعمق من القلب كل ما تمنيته و حلمت به عن وعي و عن غير وعي؛ بإرادة أو بغير إرادة .

تعطي جميع الأديان التي تدعى سماوية فكرة خاطئة عن حياة واحدة للإنسان و حتى من يشير إلى تعدد الحيوات لا يمضي أعمق من الإشارة بشيء مما أوقع حياتنا بالعديد من المشاكل .

لكن الرحلة طويلة جداً و هذا ما أجمعت عليه جميع الأديان الشرقية و لم يعد موضوعاً قابلاً للجدال إلا في بعض حالات الدفاع عن الجهل بفعل العصابية... كنت في هذا العالم لآلاف الحيوات لكنك و للأسف تدور في حلقة مغلقة واحدة... و هكذا نفقد الحياة تلو الأخرى دون تطور في الوعي مرتكبين السلسلة نفسها من الأخطاء .

نقول بأن التاريخ يكرر نفسه و ليس للتاريخ عمل ليكرر نفسه، يكرر التاريخ نفسه لأننا و ببساطة غير واعين ونكرر باستمرار الأخطاء نفسها، يبقى الوعي نفسه مما يجبرنا على اختبار المعاناة نفسها كل حياة... لا ينمو و لا يتقدم .

يكفي ما فقدناه من وقت و لنبدأ العمل بعمق على وجودنا؛ و لنبدأ البحث عنه و التعرف عليه، فعند التعرف على وجودنا لن نكون بحاجة لولادة أخرى في جسد كهذا؛ لن نكون عندها بحاجة للولادة في سجن آخر... سنكون أحراراً من كل السجون... إن هذه الحرية هي الدرس الأكثر أهمية الذي علينا تعلمه من كل هذه الحيوات .

لكننا سكارى نحيا و نموت، نموت و نحيا تحت تأثير الثملة نفسها .

روى أحد الرجال لأصدقائه في المقهى كيف أن طفله ذو الأعوام الخمسة تسبب في جعل مربيته حاملاً، فاعترض أحد الأصدقاء بأن هذا مستحيل لكن الرجل عاد و قال «هو كذلك، فقد ثقب الأحمق الصغير جميع أغمدتي المطاطية بقلمه.»

يسير كل شيء دون وعي و لكن الشيء الأهم الذي علينا تذكره هو عدم إضاعة أية فرصة لتطوير وعينا الذي علينا أن نصل به إلى درجة تمكنه من إدراك نفس الرؤية و نفس

الوضوح و الفهم الذي تمتع كبار المعلمين... و قبل ذلك سنستمر في تكرار الخطأ نفسه... لا يمكننا أن نتوقع من إنسان غير واع أن يتمكن من تغيير شيء في مسيرة حياته... إنه الوعي النامي و المتطور باستمرار من يستطيع إحداث تغيير في حياتك، حالما تفيض بالعي، باليقظة و الاستنارة لن تعود بحاجة للعودة إلى رحم أخرى، و يتلاشى الوجود المستتير في الرحم الكونية و عندها تفقد فرديتك كلياً، بل في الحقيقة أنت لأول مرة في حياتك دون حدود وتضاهي الكون غير المتناهي في اتساعه.

لمعاناتنا سبب واحد هو أننا لا متناهون و أجبرنا أنفسنا على الإقامة في أجساد صغيرة محدودة و ضعيفة، أجبرنا أنفسنا لتبقى خاضعة لأفكار و قلوب صغيرة و محدودة... يريد حبنا أن يكبر و يكبر لكن قلوبنا صغيرة جداً، يريد صفاؤنا أن يصبح كصفاء السماء الخالية من الغيوم لكن عقولنا صغيرة و مزدحمة، يريد وجودنا أن يمتلك أجنحة

ليطير إلى الشمس كالنسور لكنه سجين في قفص من جدران ثلاثة فكيف له الخروج ؟!

لم يبن الشرق حضارة و لا علماً و لم يطور الكثير من التكنولوجيا ، و السبب في ذلك أنه كرس كل إمكاناته للبحث في الوجود الداخلي للإنسان؛ لقد عثر الشرق على المفتاح الذهبي الذي يفتح الباب نحو سعادة بهاء الوجود الغامرة مما سيمكنك من الحصول على العطايا من جميع الاتجاهات .

لست مخلوقاً معذباً بل تحمل في داخلك إلهاً عليك البحث عنه و اكتشافه، هذه هي المعجزة الوحيدة و ما سواها هوامش غير ضرورية.

تأمل أم براءة ؟؟

لا يدرك أحدنا جمال و عظمة الطفولة إلا عندما يولد من جديد... فالطفل جاهل لدرجة أنه غير قادر على إدراك البراءة الهائلة التي تحيط به، و حالما يدرك براءته تنعدم الفروق بينه و بين الحكيم، لا الحكيم أرفع و لا الطفل أوضع و الفرق الوحيد بينهما هو أن الطفل لا يعلم من هو والحكيم يعلم .

قال سقراط لمريديه في لحظات حياته الأخيرة « اعتدت في شبابي على الاعتقاد بأنني أعلم الكثير، وعندما أصبحت أكبر و ازددت بذلك علماً حدث شيء غريب... قادني شعوري بأنني أعلم الكثير لأصبح أقل علماً ! »

حدث أيضاً أن اختار حكيم مدينة دلفي اليونانية سقراط ليكون أحكم الناس الأمر الذي جعل سكان أثينا يشعرون بالفرح فذهبوا إلى سقراط ليخبروه بذلك، لكنه

قال لهم « عودوا إلى الحكيم و أخبروه بأنني لا أعلم شيئاً وبأن نبوءته قد أخطأت لمرة على الأقل...

صدم الأهالي و ذهبوا إلى الحكيم ليحملوا إليه جواب سقراط لكنه ضحك و قال « هذا ما جعلني أعتبره أحكم رجل في العالم، الجاهل فقط من يعتقد بأنه يعلم شيئاً.»

كلما تعلمت أكثر ازددت جهلاً .

يقسم سقراط الناس إلى فئتين : عارفون جاهلون و جاهلون عارفون و هذه الفئة الثانية هي من يحكم و يتحكم بالعالم و هي فئة الكهنة و القديسين و المخلصين؛ فئة الأساتذة و القادة و فئة الأنبياء... لأنها فئة من يدعي أنه يعلم شيئاً... هذا الادعاء عينه من دمر بساطة و براءة الطفولة.

أرسل أحد حكماء لهملايا و يدعى بودهي دهارما من قبل معلمه إلى الصين لينشر رسالة التأمل... مكث هناك أربعة عشر عاماً حيث أصبح له آلاف المريدين... تقدم في العمر وأراد العودة إلى موطنه حيث بإمكانه الآن الذوبان في

الثلوج الأبدية للهملايا... دعا أربعة فقط من مريديه و قال «أريد أن أسأل سؤالاً واحداً لا غير و سيكون خليفتي من يتمكن من الإجابة عليه... ما هو جوهر تعاليمي ؟ »

ساد صمت و ترقب... نظر الجميع إلى المريد الأول و الذي كان يعتبر الأكثر علماً و الأوسع اطلاعاً حيث قال «يمكن ببساطة التعبير عن جوهر تعاليمك بتجاوز الفكر و المضي أعمق منه.»

فقال الحكيم «حصلت على جلدي فقط، أما أعمق من ذلك، فلا.»

انتقل إلى المريد الثاني الذي قال «لا يوجد فرق بين من تجاوز الفكر و من يتوجب عليه تجاوزه، المهم في الأمر أن الصمت هو الأساس و الجوهر، هذا هو جوهر ما علمت.»

قال الحكيم «حصلت على عظامي.»

توجه الحكيم إلى المريد الثالث الذي قال «جوهر علمك أنه غير قابل للوصف.»

ضحك الحكيم و قال «لكنك عبرت عنه و وصفته بشيء... لقد قلت شيئاً... لقد حصلت على لب عظامي.»

توجه الحكيم أخيراً إلى المريد الرابع الذي لم يمتلك سوى الصمت و الدموع و لا أجوبة... ثم سقط على قدمي المعلم... و قبل على أنه الخليفة رغم أنه لم يجب بشيء.

لكنه في الحقيقة أجاب دون أجوبة؛ أجاب دون استخدام الكلمات و اللغات، أظهرت دموعه ما لا يمكن لأية لغة إظهاره أو احتواؤه؛ أظهرت دموعه ما يحمله من شكر و امتنان لهذا المعلم؛ أظهرت صلاة و تقوى... و هل يمكن قول أكثر من ذلك ؟

أصيب جمع المريدين بإحباط شديد لقبول رجل لم يعره أحد أي اهتمام أو انتباه، تم استبعاد العارفين العظام و لم يقبل العلماء الكبار و قبل إنسان «عادي.»

لكن هذه «العادية» هي الشيء الوحيد غير العادي في هذا العالم ... ذلك الفرح الطفو لي... ذلك الاختبار الطفولي لكل ما هو غريب في هذا العالم من حولنا .

هناك شيء واحد علينا تذكره... في اللحظة التي نبدأ فيها بمعرفة شيء ما نكف عن كوننا أطفالاً، بدأنا الآن نصبح جزءً من عالم البالغين و بدأ المجتمع يبسط سيطرته علينا ليقدمنا إلى عالم الحضارة؛ بدأ المجتمع ينتزع منا طبيعتنا و ينتزعنا من طبيعتنا.

عندما يكون الطفل محاطاً بالأسرار من كل الجهات، كل شيء غامض و لا أسئلة و لا أجوبة يبلغ ذلك الطفل أقصى درجة يمكن للحكيم بلوغها... في الحقيقة هذا ما يعد براءة الطفولة تعد تأملاً، لا بل لو بقي الإنسان محتفظاً ببراءة طفولته لما احتاج للتأمل بالأساس .

في الحقيقة تعود الكلمة الإنكليزية Meditation إلى نفس الجذر الذي تعود إليه الكلمة Medicine... التأمل علاج يا أخوتي، و متى يحتاج أحدنا علاجاً ؟ عندما يكون معتلاً بالطبع... يحتاج أحدنا إلى التأمل عندما يكون معتلاً روحياً، أما براءة الطفولة فهي السلامة و الصحة الروحية؛

براءة الأطفال هي كليتك الروحية و لا يحتاج الطفل لأي تأمل.

أراد طفل صغير الحصول على دراجة لكن والدته قالت «يمكنك الحصول عليها إذا اجتهدت على نفسك و أصبحت طفلاً جيداً...» الأمر الذي وعد به الطفل... بعد مضي أسبوع على هذه الحال وجد الطفل أنه من المستحيل أن يصبح طفلاً جيداً فاقترحت الوالدة «ربما يصبح الأمر أسهل لو كتبت رسالة إلى المسيح تطلب فيها أن يساعدك لتصبح طفلاً جيداً.»

ركض الطفل صاعداً الدرج إلى غرفته... جلس على السرير و بدأ يكتب «حبيبي المسيح ، لو ساعدتني بالحصول على دراجة فسأصبح جيداً بقية حياتي و أعدك بذلك.»

لكنه أدرك فوراً بأن هذا مستحيل لذلك عاد و بدأ الكتابة من جديد «حبيبي المسيح، لو ساعدتني بالحصول على دراجة فأعدك بأن أكون جيداً مدة شهر كامل.»

لكنه أدرك أيضا أن هذا مستحيل ثم خطرت بباله فكرة...

ذهب إلى غرفة والدته و سرق تمثال السيدة العذراء الذهبي و وضعه في علبة حذاء خبأها تحت السرير ثم عاد و كتب «حبيبي المسيح: إذا أردت رؤية والدتك مرة أخرى فعليك مساعدتي بالحصول على دراجة.»

انتقلت إحدى العائلات إلى منزلها الجديد، فسأل أحد الأقارب الزوار طفلاً صغيراً هناك عن رأيه بالمنزل الجديد فقال «إنه رائع، فقد أصبحت لي غرفتي، أصبح لأخي لا أيضاً غرفته المستقلة و أصبح لأختي غرفتها لكن والدتي المسكينة ما زالت في غرفة واحدة هي و والدي.»

و الآن بعض الحكم و النصائح للتفكر و التأمل علها تساعد علها تساعد البراءة الطفولية الساكنة و الكامنة فينا على الاستيقاظ.

«ابتسم، فإن الغد أسوأ.»

«لا يوجد ما يجعل المرأة تبدو كبيرة في العمر أكثر من لقاء ذلك الرجل الأصلع السمين الذي يعرفها في المدرسة.»

«لا يوجد فروق ضرورية مبررة بين الرجال و النساء، لكن غير الضروري منها هو الأجمل.»

«ما لا يمكن فعله في السرير فقد يكون من غير المجدي فعله.»

«يعتمد النجاح عند البعض على تحقيق الشهرة، و يعتمد عند بعضهم الآخر على ألا تكون معروفاً.»

«الأعمار السبعة للمرأة هي عمر حقيقي و ستة أعمار تحزيرية.»

«عادة ما تكون المرأة دائمة الحديث.»

«التقدم في العمر هو أن تستخدم نظارة و أنت تفكر.»

«ينتهي شهر العسل عندما تتوقف المرأة عن مناداتك حبيبي و تبدأ تقول لك اصمت.»

«ينتهي شهر العسل عندما يأتيك الكلب بالحذاء و تبدأ المرأة بالصراخ عليك.»

دفع الإنسان و لأسباب لا تصدق ليكون فريسة للجدية، فقد بنت الأديان قواعدها و أسسها لتسميمه، كما يجبر كل من يدخل في صراع القوة على تدمير فرح الإنسان وتدمير جمال براءة عينيه و على تدمير طفولته... تبدو قهقهة الأطفال أخطر عليهم من القنابل النووية.»

وهم محقون في ذلك... لو تمكن العالم من الضحك أكثر قليلاً مما هو عليه الآن فستقل الحروب... إذا بدأ العالم يحب براءته دون النظر لأي ثقافة أو معرفة ستختبر حياتنا نوعاً من الجمال و المعرفة نسيناه و افتقدناه طويلاً .

كتب أحد المريدين رسالة إلى أوشو يقول فيها أنه استجمع قواه لسبعة أعوام ليمتلك الشجاعة الكافية لكتابتها أما قبل فلم يستطع ثم يقول «عندما تورد أو تستشهد بنظرية علمية فغالباً ما تكون هذه النظرية قديمة أو غير عصرية»

مدهش و غريب كلام هذا المريد لكنه يتكلم بلسان عصرنا و عالمنا، و لكن أتعتقد أنه بمقدور العلم أن

يكون حديثاً أو معاصراً ؟ بالطبع لا و هذا ما يؤكده أنصار العلم بشيء من الغرور .

في اللحظة التي تعتبر فيها النظرية العلمية حديثة تكون قد بدأت بالخروج من التاريخ... إن ما كان حديثاً بالأمس يصبح اليوم قديماً و مستهلكاً ، و كل ما هو حديث اليوم سيصبح في الغد قديماً و مستهلكاً... عند تأمل هذه الحماقة ألا ترى معي أنه من الأفضل التخلص من فكرة قديم و حديث.

قد ترد في مواضيعنا هذه بعض الإشارات لنظريات علمية لكن المقصود منها ليس النظرية أو شرحها بل الإشارة إلى ما هو أعمق، لذلك علينا ألا نضيع مع الإشارة فنفقد جوهر الموضوع، و أما هواة العلم و النظريات فلهم آلاف الكتب و الجامعات... أما هنا فلا نتحدث عن شيء سوى البراءة و عليه فالهدف معاكس و هو التخلص من كامل المعلومات القديمة و المستهلكة و إحداث تغيير جذري في حياتنا . {الأمر ليس بهذه البساطة }

اعتادت الأديان على التأكيد و التركيز على أن كل ما تقوله هو حقائق رغم ثبوت أن معظمه خرافات و أوهام ... ثلاثمائة عام مرت على انتقال زمام الأمور من الدين إلى العلم الذي بدأ أنصاره بالتأكيد على أن ما يقولونه هو الحقيقة... عادة قديمة ورثوها عن أنصار الأديان لكنهم سرعان ما أدركوا بأن النظريات الدينية قد استمرت لعشرة آلاف عام دون تغيير... استمرت النظريات الدينية لأنه لا توجد وسيلة لنعلم فيما لو كانت تلك النظرية حديثة أم غير حديثة، لا نستطيع معرفة فيما لو كان اللّه لا زال حياً أم أنه توفي، أو أنه مريض لذلك فقد بقية فكرته موجودة... و لكن هل هناك من يعلم بأنه قد ولد أم لا ، و بنفس الطريقة عاشت فكرة الجنة و الجحيم لا لأنها حقائق بل ببساطة لأنها أساطير و لا يوجد مقياس للحكم عليها .و هكذا اتخذ العلم الموقف نفسه من نظرياته و لكن ما تظهر التناقضات و المغالطات و الأخطاء رغم أن العلم يتحدث عن حقائق و ليس عن

خرافات و أساطير، لكن الحقيقة الكبرى في العلم أنه عليك تغيير نظرياتك كل يوم.

قيل في العلم أنه لا يمكنك كتابة كتاب كبير و شامل علمياً لأنك لن تنهي كتابته حتى يصبح كل ما فيه قديماً مستهلكاً، يمكنك أن تكتب أوراقاً قليلة و عليك الإسراع بعرضها على المؤتمرات و الملتقيات أو نشرها في الدوريات لأنك لست الوحيد في العالم فهناك العديدون ممن يعملون على الموضوع نفسه و ربما يأتي أحدهم بعمل أفضل مما عملت .

سؤل آينشتاين مرة « لو أنك لم تكتشف نظرية النسبية، أتعتقد أنها كانت ستكتشف من قبل أحدهم ؟ « بالطبع كان السائل يعتقد مثلما نعتقد نحن اليوم بأن تلك النظرية تتطلب فكراً كفكر آينشتاين ليأتي و يكتشفها، لكنه صدم عند سماع جواب آينشتاين «لو لم أكتشفها لاكتشفها أحدهم خلال فترة أقصاها ثلاثة أسابيع، يعمل

آلاف الفيزيائيين على الموضوع نفسه و كانت ضربة حظ بإسراعي في نشرها.»

و لقد وجد بالفعل أن فيزيائياً ألمانياً آخراً قد اكتشف النظرية نفسها قبل آينشتاين لكنه كان رجلاً كسولاً فتباطأ بنشرها ظناً منه بأن أحداً لا يمكنه اكتشاف نظرية بهذا التعقيد... و لم التسرع !!!

و لكن أتظن بأن آينشتاين لا زال عالماً حديثاً و عصرياً ؟ بالطبع لا، فلا يمكن لأحد في العلم أن يبقى كذلك لأكثر من شهور قليلة.

لا، لا يجب أن يستحوذ علينا كل مؤقت، و كل قابل للزوال السريع أو البطيء، بل علينا أن نوجه أنظارنا نحو الأبدية و لا علاقة لهذه الأخيرة لا بالعلم و لا بالمعلومات بل بالبراءة و الأسرار.

كن كالطفل براءة و افتح عينيك لا تبق فيهما آثاراً لشيء... انظر بجلاء و عندها يمكن لأي وردة صغيرة أو لأي ورقة صغيرة لنبتة؛ يمكن لأي فراشة أو يمكن لغروب

الشمس أن يمنحك فرحاً كما فرح كبار المعلمين بالاستنارة... ليست المسألة مسألة أشياء و إنما مسألة عيون مفتوحة و تعمل كل من الثقافة و المعلومات على إغلاقهما لك و تحصرانك في سجن على حين تفتح البراءة كل الأبواب و النوافذ.

و عندها تدخل الشمس و يمر النسيم البارد...

و يفاجئك عطر الزهور بزيارته لك...

ربما يأتي أحد الطيور ليغني أغنيته و يمر عبر أحد النوافذ... البراءة هي التدين و الدين الحقيقي ...

لا يتوقف تدينك على كتبك و نصوصك المقدسة و لا على ما تعرفه عن هذا العالم إنما يتوقف على مقدار استعدادك لتكون كمرآة نظيفة نقية دون أن ينعكس عنك شيء.

صمت كلي، براءة و نقاء هذا كل ما تحتاجه ثم سترى الوجود يتحول لأجلك، لتصبح كل لحظة عامرة بالنشوة... لتصبح الأشياء؛ ليصبح ارتشاف فنجان من الشاي صلاة، ولا يمكن لصلاة أخرى أن تقارن بهذه... فقط تأمل الغيوم

كيف تلهو في السماء بحرية ثم تتوافق و تنسجم ببراءة تامة.

لكن الغيوم ليست سوى أشياء و أنت هو السيد الوحيد... انظر كيف تتحد و تذوب سوياً فابدأ التحليق معها.

ابدأ الرقص مع الأمطار و مع الأشجار... ابدأ الغناء مع الطيور... ابدأ الرقص مع الطاووس دون حراك... اجلس فقط و سيبدأ عيك بالانتشار في كل مكان.

يولد الدين فيك عندما تلامس بوعيك الوجود، و عندها تولد من جديد... إنها ولادتك الحقيقية.

ولادتك الحقيقية هي علاقتك بمعلمك...

لكل إنسان ولادتان... ولادة أولى من الأب و الأم و هي ليست سوى بوابة عبور و ولادة ثانية حقيقية بين المعلم والمريد و هي التي تفتح أمامك كل الأبواب لتكتشف كل الأسرار... لتصبح الحياة مغامرة وكل لحظاتها نشوة و كل أيامها إثارة... لا تتلاشى الحياة بالموت و لا يموت النهار بظلمة الليل... ستكتشف فجأة بأن الليل و النهار ما

هما سوى جناحين لطائر واحد؛ و ما الموت و الحياة سوى جناحين لطائر واحد...

سماء الوعي كاملة لك... لست بحاجة لتكون مسيحياً؛ لست بحاجة لتكون محمدياً و لست بحاجة لتضع على نفسك أي ختم و طابع و كل ما تحتاجه هو أن تكون طفلاً .

تأمل فقط

أن تفكر بشيء فهذا معناه معروف و بديهي... أن تفكر بشيء يعني ما يعمل به فكرك باستمرار حول ذلك الشيء من تذكر، تحليل، تخطيط و تخيل... و لكن اعتدنا على سماع و قراءة عبارات مثل التأمل على شيء ما أو التأمل على الجنة مثلاً... التفكير في الجنة جائز و مألوف فهل التأمل عليها جائز رغم أنه مألوف ؟؟؟

في الحقيقة جاءتنا كلمة «تأمل» كترجمة للكلمة الإنكليزية «Meditation» و الإنكليزية كغيرها من اللغات الغربية للحالة الحقيقية التي عرفها الشرق، و يعد هذا النقص لغوياً من جهة و نقصاً في الاختبار من جهة أخرى... نعلم أن هناك مصطلحات علمية بشكل خاص لا وجود لها إلا باللغات الغربية و لا مقابل لها في اللغات الشرقية و نلاحظ مشكلة كهذه في فوضى المصطلحات

العلمية المترجمة في أمتنا العربية... و عليه يصعب للغاية التعبير عن الحالة التي ترجت تسميته تأملاً بلغات غير شرقية .

توجد في الإنكليزية كلمات ثلاث و لها مقابلات شرقية وهي: الكلمة الأولى « Concentration» و تعني بالعربية التركيز على موضوع معين، الكلمة الثانية «Contemplation» و تعني التفكير بموضوع واحد دون استطرادات، بل البقاء مع الاختبار ذاته و المضي عميقاً بفهمه و استيعابه و هي تطوير للكلمة السابقة، أما الكلمة الثالثة فهي «Meditation» و قد شرحت في أول كتاب باللغة الإنكليزية عن التأمل على أنها المعنى الأعمق لكل من الكلمتين السابقتين، و كلا التعريفين غير مبرر و لا يفي التأمل حقه الفعلي .

هناك كلمة شرقية رابعة لا مقابل لها في الإنكليزية و هي «دهايان» و تعني حالة من اللافكر، و لا يمكن ترجمة هذه الكلمة بأي من الكلمات السابقة لأن جميعها تدل

على نشاطات فكرية... فإذا كنت مركزاً أو أنك تفكر أو تتفكر بعمق فأنت إذاً ذو هدف و حدودك واضحة و هي حدود الفكر و بالتأكيد يمكن للفكر القيام بالعمليات الثلاث السابقة دون أي عناء .

أما الحالة الحقيقية و هي دهايان – بالطبع لا يوجد مقابل عربي لها فهي حالة أعمق من الفكر و تتجاوزه .

وقعت هذه المشكلة في البداية منذ حوالي ألف و ثمانمائة عام، فبعد بوذا و عندما وصل تلاميذه إلى كل من الصين و اليابان لم يتمكنوا من إيجاد المقابل الصحيح للكلمة دهايان في لغات تلك البلدان، كما أن بوذا نفسه لم يستخدم الكلمة دهايان لأنها كلمة سنسكريتية و هذه الأخيرة لغة المعلمين و العارفين و هي بعيدة عن لغة العامة التي فضل استخدامها و تسمى لغة Pali .

لكن المترجمين الأوائل و الذين قاموا بترجمة النصوص الأولى شرحوا التأمل ظناً منهم أنهم فهموا المعنى الدقيق للكلمة دهايان... لقد كان معظمهم من المبشرين

المسيحيين و لم يكن لديهم أي تضور يتجاوز الفكر... إن عدم اعتقاد المسيحية بتجاوز الفكر حال دون إمكانية فهم حالة دهايان و أقرب ما توصلوا إليه هو الكلمة Meditation و قد وصلتنا على أنها تأمل .

لكنك عندما تقول «تأمل» عليك أن تقول بعد ذلك مباشرة « تأمل على ماذا ؟ » فالتأمل بطبيعته ذو علاقة بموضوع ما أما الدهايان فلا... لا يوجد في الدهايان «على» و إنما حالة من تجاوز الفكر و عندما تتجاوز الفكر تتجاوز كل الأهداف و تصبح أنت بحقيقتك ... ليست الدهايان عملية وإنما حالة وجودية؛ ليست حلاً وسطاً بين الذاتية والموضوعية و إنما ببساطة قطرة ندى تنساب من وردة لتذوب في المحيط .

فالمسألة إذاً سوء تطابق لغوي فعلينا ألا نكرر عبارة « تأمل على أي شيء » التي أفقدتنا كل شيء... هناك حالة خاصة في هذا السياق، فقد نقرأ أو نسمع عبارة» تأمل على الجنس» و هذا لا يعني التفكير بالجنس أثناء التأمل أو

التأمل أثناء ممارسة الجنس و إنما تعتبر ذروة الجماع حالة تأملية ينعدم عندها الفكر، و هي التي فتحت الباب أمام موضوع التأمل و الابتعاد فيه وصولاً إلى حالة العزوبية وتجاوز الجنس. {راجع كتاب « من الجنس إلى الضمير الكوني »}

تعال معي أخي العربي نصطلح منذ الآن أن الكلمة العربية «تأمل» هي ترجمة للكلمة الشرقية «دهايان» أي حالة انعدام الفكر و لننسى كل شيء عن المديتيشن.

عندما نتأمل نكون بحالة صمت تام فلا فكرة نركز عليها و لا موضوعاً نفكر به و لا هدفاً نتعمق بالتفكير به... في التأمل ينعدم الآخر و في اللحظة التي ينعدم فيها الآخر لن تعود قادراً «كغرور» على التواجد لأنك جزء منه... فأي معنى للظلمة عندما يختفي الضوء، و أي معنى للموت عندما تزول الحياة... ؟ الـ«أنا» و الـ«أنت» محكومان بأن يتواجدا معاً أو يزولا معاً، و ماذا يبقى عند زوالهما ؟ تبقى الطاقة الكونية وحدها .

التأمل ذوبان في الكون .

أما الفكر فهو العائق فكلما ركزت أكثر فكرت أكثر و كلما تفكرت « تأملت على » أكثر و عندها لن تخرج من سجن الفكر الذي هو القطرة التي عليها الذوبان في المحيط .

هناك ملاحظة علينا ملاحظتها: يتم ابتداع الكلمات عندما نواجه اختباراً محدداً و لا نستطيع التعبير عنه باللغة الموجودة ...

و لكن في الشرق و لا سيما في الهند تم تكريس عشرة آلاف عام للعمل على موضوع واحد و هو التأمل «الدهايان» و عليه فلا حاجة لنسأل «على ماذا ؟» لأنه لا يوجد قرين ثنائي فعلي لهذه الحالة .

التأمل هو صمت و صمت مطلق؛ التأمل سكون .

و لكن إذا كان من الخطأ قول « تأمل على » فماذا يؤدي فعلياً من يقومون بهذا ؟ إنهم ببساطة لا يفعلون شيئاً... لا يتأملون... ما دمت تتأمل على فلا زلت تفكر، و ما دمت

تفكر فهذا يعني أن غرورك «أناك» لا زال موجوداً، و لا تتحدث سوى عن اختبارات وجودية و لم تصل لأعمق من ذلك سوى باستعارة كلمات جميلة... التأمل و الفكر يا أخي كالموت و الحياة لا وجود لأحدهما بوجود الآخر .

التأمل انعدام للأنا و ذوبان في المحيط و لكن أن نقول «أتأمل» فمن الذي يتأمل ؟ إنه الأنا و ما دام هذا الأنا موجوداً فالأنت لا زال موجوداً أيضاً؛ مادام المختبر موجوداً فلا زال الاختبار موجوداً و بالتالي لا زالت الثنائية و بالتالي لن تتجاوز الفكر و لن تبلغ أي حالة من التأمل .

كلمات جميلة لا ندرك معانيها لكن حكماءً مثل بودهي دهارما يختار المريد الذي لم يجب بشيء كخليفة له، فأي جواب سيكون خاطئاً؛ أي جواب سيعني أنك لا زلت موجوداً و سيعني أي جواب بأن الفكر لا زال موجوداً يعمل... محكوم بالخطأ على أي جواب... تم اختيار الإنسان الذي لم يمتلك سوى دموع الفرح و السقوط على قدمي المعلم بشكر و امتنان عظيمين... فلا يمكن قول شيء .

في اللحظة التي يتوجب عليك فيها قول شيء ما سيتوجب عليك استخدام كل من الفكر و اللغة و من الطبيعي عندها أن تتدخل كل من حدود الفكر و تناقضات اللغة. فعند قولك «أتأمل» تفهم على أنك تقول «تحررت من غروري و لم أعد أعاني من الأنا و زالت جميع الحدود ... » و لكن لو أنك زلت فعلاً فمن الذي أكمل الحديث ؟ وحدود من هي التي زالت و بين من و من هي ؟ حدودك أنت فلا زلت موجوداً و عليه لا يمكن للحدود أن تزول... هل سمعت قطرة تنادي « اسمعوا و انظروا ها أنا أذوب في المحيط؟ » لا يجوز هذا ، يذوب أحدنا في المحيط و لا يوجد بعدها ما يقال .

لا يسود سوى الصمت المطلق .

و نستمر باستعارة الكلمات الجميلة التي ربما نكون قد قرأناها أو سمعناها كأن نقول « الذوبان في الكلية، التلاشي في النور، اللاوزن{ليس علماً} و الفرح الغامر» ولكن أيضاً من الذي يختبر كل هذا ؟ لاختبارات كهذه

نحن بحاجة لأنا ، بحاجة للفكر و للغة و جميعها اختبارات وجودية فعلينا في المقام الأول ألا نقول شيئاً .

كان أحد معلمي الزن جالساً على شاطئ البحر عندما مر به الملك الذي طالما رغب برؤيته إلا أن الحروب و مشاكل الملك حالت دون ذلك... كانت فرصة ذهبية لذلك أوقف الملك عربته، ترجل منها ثم سار إلى المعلم و قال « ليس لدي الكثير من الوقت لكنني أريد أن أعلم ما هي تعاليمك الجوهرية فلا أريد الموت جاهلاً. »

بقي المعلم صامتاً !!

فقال الملك « لقد فهمت، أنت رجل متقدم في العمر و لا بد أنك مصاب بالصمم. »

لكن المعلم ابتسم .

فصرخ الملك بأذنيه « أريد أن أعلم جوهر تعاليمك . »

لم يتحدث المعلم بشيء لكنه كتب بأصبعه على الرمل «دهايان.»

فقال الملك « سمعت بهذه الكلمة من قبل عدة مرات و لا تعني لي الكثير، هلا فصلت بعض الشيء . »

فتحدث المعلم أخيراً « سقطت للتو لأجلك، لكن الجواب الصحيح هو الأول عندما بقيت صامتاً، لكنك على ما يبدو لا تعلم مقدار الوصال الكائن في الصمت، و كتبت تلك الكلمة بدافع الشفقة عليك و تريد التفصيل... سأحاول »

كتب الكلمة نفسها بخط أكبر مما جعل الملك يشعر ببعض الغضب و يقول « أي نوع من التفصيل هذا ؟ إنها نفس الكلمة !!»

فقال المعلم أخيراً « عليك أن تعذرني فلا أستطيع السقوط لأجلك أكثر، سقطت في المرة الأولى ولا أريد للتاريخ أن يسخر مني، لم يقل أحد شيئاً عن الدهايان و لا يستطيع أحد قول شيء . »

و لكن ما الذي يفعله المعلمون عبر العصور ؟ كانوا يطورون وسائلاً وحالات علها تساعد واحداً من كل ألف

من بني الإنسان على التبصر، ليست هذه الحالات تأملاً لكنها وسيلة تمكنك من الوصول إلى نقطة محددة في فضائك الداخلي تصبح قادراً عندها على الإدراك، وفي اللحظة التي تدرك فيها حالة التأمل تصبح جميع تلك الوسائل مجرد أسماء لا معنى لها، لأنها في الحقيقة وسائل ابتكرت من لا يمتلك وسائلاً للاتصال بحقائق أعلى من الفكر.

عندما تقول « تأمل على » لا هو تأمل و لا أنت متأمل لكن اللغات و حتى أغزرها فقيرة بما يخص الوجود الداخلي للإنسان و لا تمتلك أي منها أية كلمة ذات دلالة لأن الملايين من البشر عاشت و لم يفكر أحد تقريباً بالنظر داخلاً ... و إذا حصل أحياناً و فعلها أحدهم سيجد فضاءً غير قابل للترجمة بأية وسيلة... عليك ألا تستوعب مشكلتك و صعوبتك وحدك بل عليك استيعاب مشكلة ذلك الإنسان الذي بلغ وجودياً مرحلة لا يمكنه عندها الترجمة.

سؤل كيبر و هو صوفي هندي السؤال نفسه فضحك و قال « لا أستطيع قول شيء لكنني أستطيع إعطاءك إشارة ... إنها كاختبار شيء غاية في الحلاوة من قبل شخص ثمل، يدرك لكنه لا يستطيع الكلام... لا يعتبر الثمل عاجزاً عن اختبار الحلاوة لكنك إن سألته عما يختبر فلن يكون قادراً على قول شيء. » تسبب هذا العجز عن الوصف بضياع العديدين فقد ظنوا بأن غير القابل للوصف غير قابل للوجود؛ اعتقدوا أن قابلية الوصف و إمكانية الوجود أمران متلازمان حكماً... و بالطبع فالحقيقة غير كذلك .

ماذا يمكنك القول عن الحب ؟ كل ما ستقوله لن يكون صحيحاً، و عندما تكون في حب فلا يمكنك أن تقول «أنا أحب» فهذا صغير للغاية مقارنة باختبار كالحب، لكننا بدأنا نقول هذه الكلمة عندما اختفى من حياتنا الحب .

يقول فيلسوف أمريكي في كتاب له « قبل زوجتك عند عودتك إلى المنزل و قل لها «أحبك»، و قبلها عند مغادرتك للمنزل و قل لها «أحبك».»

هناك ملايين الحمقى ممن يفعلون هذا... و تعلم الزوجة أنه مجرد خداع و يعلم الزوج أنه ليس أكثر من ذلك .

عندما تكون في حب سيجعلك الحب تقف مكتوف الأيدي عاجزاً عن قول كلمة واحدة، و لماذا ؟ لأنه اختبار واسع و غاية في الضخامة.

لم يسبق و أن وصف اختبار الحب الحقيقي من قبل أي شاعر و لا يمكن له أن يوصف .

الحب جزء من حقيقتنا العادية كما هي الحلاوة و المرارة، أما فضاءات التأمل الداخلية فليست جزءً من اختبارنا المعتاد... فإذا عثر أحدنا عليها فهو غير قادر على وصف ما وجد .

كان هناك رجل ياباني نسي الناس اسمه و كل ما تذكروه عنه هو «بوذا الضاحك» لأنه لا يتحدث أبداً

وعندما يسأله أحدهم سؤالاً فإن جوابه واحد و هو الضحك... إنه شخص بغاية الصدق و الموثوقية فلم يعترف بلغة، بفكر أو بتعبير... فقط يضحك... فإذا استطعت أن تفهم شيئاً من ضحكه أو ابتسامه فهو لك، لكن معظم الناس ظنوه قد جن .

عندما بلغ بودهي دهارما حالة التأمل فإن أول شيء قام به هو الضحك العميق العالي لكنه كان رجلاً عارفاً و ليس كالياباني الضاحك البسيط و لم يضحك بعدها أبداً .

سؤل مرة من قبل المريدين « ما هو أول شيء أردت فعله بعد تحقيق الاستنارة ؟ » فقال « في البداية لم يعد هناك أنا فأشرق ضحك عميق إلا أنني أبقيته داخلاً خشية أن يظنني الناس مجنوناً، و قد نصحني المعلم فقال « حتى و إن كان المعلم حكيماً للغاية فنادراً ما يجد مريداً صادقاً، فإذا اعتقدك الناس مجنوناً فإن إمكانية إحداث تغيير ما ستكون جديرة بالإهمال» لذلك حافظت على ضحكي الداخلي... اضحك داخلياً و لا تظهر ضحكك لأحد. »

تعتبر شخصية بودهي دهارما غير مألوفة لدينا، لذلك أعتقد بأن ندرة منا من رأت له صوراً، في صور هذا المعلم من الجدية ما يمكن من استخدامها لإرعاب الأطفال! لكن أحداً لم يتساءل عن الذي حصل... كان أميراً و لا تمثل هذه الصور وجهاً لأمير جميل، لقد احتفظ بفرحه وضحكه داخلاً مما سبب اضطراباً في الوجه و جحوظاً في العينين... قرر أن يبقى غامضاً ! و لكن لم يقرر واحد من أجمل الرجال أن يحتفظ بهيئة صارمة لهذه الدرجة ؟ لقد كان في حيرة فإذا ضحك فسيرى الناس جماله لكن المعلم قال « لا تضحك و إلا لما نظر أحد إليك بغموض » لذلك توجب عليه الاحتفاظ بهيئة غامضة، و عندما تتمكن من الاحتفاظ بضحك صاخب داخلك يمكن لك تغيير كل شيء .

عليك في البداية أن تفصل اختباراتك عن معارفك و ثقافتك لأن هذه الأخيرة أشبه ما يكون بروث البقر الذي لا يتحول إلى شيء ثمين إلا عند التخلص منه و نثره بعيداً، إن من

شأن اختبار كهذا أن يقدمك إلى معنى التأمل و هذه هي مهمة المعلم أي إعطاؤك الطريق نحو تلك الحقيقة، أما الحقيقة عينها فلا بد لك من التعرف عليها بمفردك.

آملةً بمفاجأة زوجها بشعرها المستعار الذي اشترته للتو، دخلت الزوجة مكتب زوجها وقالت بإثارة « أتظن أنك ستجد في حياتك مكاناً لامرأة مثلي » فأجاب « لا أظن فأنت شديدة الشبه بزوجتي . »

علينا أن نحذر الأشعار المستعارة و علينا أن نتذكر أن كل ما ينمو في الداخل لا يمكن أن يتشوه، يتلوث أو يتسمم بتأثير الملايين من حولنا فهو أهل للثقة لأنه حقيقتنا التي لا نجد ذواتنا فيها، و في اللحظة التي نفقد فيها ذواتنا يغمرنا نور عظيم و فرح؛ تغمرنا نشوة لا نستطيع التحدث عنها لأن ذلك الذي اعتاد على الحديث ذهب و لن يعود .

لدى الصوفيين واحد من أقدس الكتب في العالم و قد يكون الكتاب الوحيد المقدس و قد احتفظوا به منذ حوالي ألف و أربعمائة عام... في الحقيقة لا يمكن لأي دار

نشر أن تطبع هذا الكتاب لأنه لا يحتوي ما يطبع... إنه فراغ محض .

اعتاد المعلم الأول الذي حصل على الكتاب على الاحتفاظ به تحت وسادته... أصيب الريدون بفضول كبير فالمعلم يتحدث عن كل شيء و يكتفي بالابتسامة عندما يسأل عن الكتاب... حاولوا بمختلف الطرق معرفة ما في الكتاب إلا أن المعلم كان شديد الحرص و الحذر مما حال دون تحقيق هذا المسعى .

لم يكترث الكثيرون عند وفاة المعلم بل كان همهم معرفة ما في الكتاب لكنهم أصيبوا بالدهشة عند رؤيته فارغاً و لو من كلمة... أما هؤلاء الذين أوتوا نوراً و يقظة فقد أدركوا مقدار رأفة المعلم بهم بعدم قوله أي شيء عن الكتاب بل ترك لهم مهمة الاكتشاف .

لا زال الكتاب موجوداً بصيغة محرفة فقد قام ناشر بريطاني بنشره لكنه كان قلقاً حول إمكانية بيعه فقام صوفي متصوف{مزيف} بكتابة تقديم عن الكتاب

وتاريخه لمدة ألف و أربعمائة عام... و بالتالي كتب شيء عن هذا الكتاب لتتم قراءته مما دمر سره كاملاً.

أنت سر لا يمكن لأي لغة احتواؤه أو التعبير عنه، لا و تذكر شيئاً كمقياس:

إن كل ما يتم النزول به إلى مستوى اللغات صنيعة فكرية... و التأمل حالة يتوقف فيها الفكر عن العمل وتتحول إلى مجرد وعي، ليس وعيك وحدك بل وعي طاهر كوني .

وحتى أبسط الأفكار مثل « أنا هذا، أستمتع بالفرح الغامر و أستمتع بالنشوة الغامرة...» يأتي الفرح الغامر والنشوة الغامرة بطوفان عظيم، طوفان لا يمكنك الاستمرار بوجوده... عندما يغمرك الفرح و النشوة لا يسعك سوى التبخر و التلاشي .

كان بوذا محقاً عندما قال « يمكنني الإشارة إلى القمر فقط، لكنني لا أستطيع التعلق بأصبعي، فالإصبع ليست قمراً » لكنها مدهشة حماقة الإنسان، فبعد بوذا و لأنه

قال « لا تبنوا لي تماثيلاً فلست هنا لأعبد و إنما لأنني قادر على إيقاظكم » إلا أنه لم يحرم شيئاً... لم يعلم مقدار جهل الإنسان، فقد بنيت له المعابد و التماثيل الجميلة النفيسة بإصبع تشير إلى القمر و نسي كل شيء عن هذا الأخير... نسينا القمر و عبدنا اليد التي تشير إليه...!! إن كل ما قدمه بوذا و غيره من المعلمين ما هو إلا إصبع تشير إلى القمر... دع الإصبع جانباً و انظر إلى القمر.

علينا إلا نقع في شرك اللغات و النحو و الصرف فهذه أمور لا علاقة لها بل انظر إلى القمر، مهما كان جمال الإصبع متواضعاً فيمكنها أن تشير إلى القمر أما اللغات فليست فائقة الجمال بل يمكن لمن يتمتع بالحكمة الكافية أن يدعها جانباً و يصغي إلى الجوهر.

و لكن لا تبدأ اعتقادك بهذا الجوهر بالحديث عنه بل اجعله اختباراً لك، و عندما يصبح اختباراً لك لن تكون قادراً على تقديم أي وصف أو شرح، يمكنك أن تبكي من الفرح؛ يمكنك أن تضحك كما يمكنك أن ترقص

وربما تكون هذه الإشارات ذات دلالات أعمق و أبلغ من اللغة.

رقصت ماري و هي إحدى أجمل نساء الأرض، وكانت ملكة... و لكن عند اللحظة المناسبة فتح فضاؤها الداخلي فنسيت كل شيء عن القصور و بدأت ترقص في شوارع عاصمتها... استاءت العائلة بالطبع و عملت على ملاحقته و منعها لكنها قالت « وجدت ما لا يمكن التعبير عنه بغير الرقص، و سأرقص على مدار البلاد. »

و هكذا رقصت الملكة على امتداد البلاد لكن لا أدري كم هم هؤلاء القادرين على فهم معنى الرقص... غنت الملكة أغنيات ليست كمقالات فلسفية و إنما فيها فجوات رائعة يمكن لمن يكتشفها أن يدخل عالم الأسرار... كان رقصها لغة من مقام مختلف تماماً .

إذا كنت قادرا على فهم رقص كهذا فمن الممكن أن يبدأ شيء ما بالرقص داخلك، و كل ما تحتاجه هو قابلية استقبال هذا الرقص... و عندها يمكن لرقص الملكة أن

يطلق الطاقة الكامنة في وجودك، و إذا استطعت الرقص فأنت الآن موصول؛ أنت الآن قادر على معرفة ما التأمل... عندها لن تكون هناك ملكة واحدة بل العديد... إذا لم تكن قادراً على فهم التأمل هنا ستكون أمكانية ذلك متواضعة جداً في مكان آخر فالعالم مغرق في ماديته، و يحاول المعلمون على ندرتهم إنقاذنا من الطرق المزدحمة حيث لا خرائط و لا إشارات مرور تخشى الطوائف تناقص جموعها التائهة في الشوارع، فلا يريد أحدنا أن يفقد بعض الأصوات في معركته الانتخابية .

جميع أدياننا هي و بكل بساطة قوى و تجمعات سياسية، و نجد باسم الدين جميع أشكال المخادعة و جميع أشكال المتاجرة بالإنسان... وحده الإنسان الفرد من يستطيع معرفة معنى التأمل و معرفة معنى الجمال و النشوة و وحده يستطيع إدراك جمال رقصة الوجود الجميل الجميلة. لم يسبق و أن استنارت حشود الأديان و التجمعات، الفرد وحده هو القادر على ذلك .

حكمة و حكماء

إذا كانت حقيقة التأمل بالصمت، فهل في الكلام حقيقة؟ هل حديث أوشو و المسيح و غيرهم من المعلمين الصادقين مثل أحاديث نشرات الأخبار و التحاليل السياسية رغم أن للجميع اللغة نفسها ؟

عندما يتحدث أحدهم بالحقيقة الصادقة فإن كلامه يخترق كسهم قلبك و يسكن أعماقه .

الحقيقة هي الشيء الأكثر بساطة و الأكثر وضوحاً في هذا الوجود... أوقعت حقيقة الحقيقة هذه الفكر الإنساني في مشكلة، فهو غير شغوف بكل واضح بسيط، ذلك لأن الفكر بحقيقته العميقة ما هو إلا الاستكبار الإنساني ولا يروي غباء هذا الأخير سوى التحديات البلهاء القادمة من الخارج البعيد... يزداد انجذاب الفكر و تعلقه بشيء ما كلما ازدادت صعوبة تحقيقه و كلما ازداد بتسببه للتعب

و العذاب، فالفكر مستعد للذهاب إلى أبعد النجوم دون أن يبالي بالذي سيحققه من ذلك، فهو يرى ألا علاقة لهذا بالموضوع .

عندما عاد إدموند هيلاري من رحلته إلى لهملايا حيث كان أول إنسان يتمكن من الصعود إلى إيفيريست أعلى قممها انشغلت به وسائل الإعلام العالمية و أرادت أن تعرف ما الذي اختبره و ما الذي ربحه في هذه الرحلة التي فقد المئات حياتهم فيها من قبله... احتار هيلاري في أمره و ساد صمت لدقيقة كاملة لم يتمكن خلالها من قول شيء، إلا أنه قال أخيراً « لا شيء، إنه مجرد تحد يواجه الإنسانية و كان كافياً لأخاطر بحياتي لأجله... لم أختبر شيئاً و لم أربح شيئاً . »

ما الذي يوحيه إليك تخيل إدموند هيلاري يقف على إيفيريست وحيداً ، لا يمكن أن يوحي بشيء سوى الحيرة والحماقة، فلم يمكث هناك سوى دقيقتين كان خلالهما عرضة للموت في الثلوج الأبدية.

يعطينا هذا التصرف فكرة عن الفكر الإنساني وأعماله، حيث يترك السهل و القابل للتحقيق و يلاحق البعيد الذي يشق عليه تحقيقه إضافة إلى أنه عديم الحاجة أو المنفعة... البعيد و غير المفيد هو غذاء الأنا الوحيد، أما ما هو بسيط و بمتناول الأيدي فلا يثير شيئاً داخله، هذا ما جعل الملايين من سكان الأرض يفقدون وجودهم بترحالهم في طول العالم و عرضه كأمثال ماركو بولو وكولومبوس، و منهم من أراد هزيمة العالم كالإسكندر الكبير لكنهم نسوا أمراً واحداً مهماً و هو لو أنهم عرفوا أنفسهم لما ولدت داخلهم هذه الرغبة لهزيمة العالم.

بينما هو في طريقه إلى الهند سمع اسكندر الأكبر بشخص غريب الأطوار و هو ديوجين الذي كان يعيش على جانب الطريق... سمع الاسكندر العديد من القصص عن ديوجين الذي كان أسطورة في عصره حيث تمكن من العيش عارياً .

قد يكون سهلاً و مألوفاً في الهند لكنه ليس كذلك في سواها، فقد عاش آلاف الرهبان اليانيين عراة هناك، وهذا ما يفسر عدم انتشار تلك الديانة خارج الهند... انتشرت البوذية في العديد من المناطق الآسيوية كالتيبت، الصين، اليابان و كوريا إضافة إلى الهند، أما اليانية Jaina و رغم أن مؤسسها المهافير Mahavira كان معاصراً لبوذا فلم تتمكن خلال القرون الخمسة والعشرين الماضية من الذهاب خارج الهند بسبب العري .

و لكن يجب أن يكون ديوجين أكثر شجاعة من المهافير فقد أمضى حياته في اليونان عارياً تماماً... كانت كل ممتلكاته تتألف من مصباح قديم يبقيه مضاءً لأربع وعشرين ساعة، و كلما التقى أحدهم يقرب مصباحه قريباً جداً من وجهه و لك أن تتخيل مقدار التذمر و الشكوى .

و عندما يسأل عن ماذا يحاول البحث في وجوه هؤلاء كان يقول « أحاول أن أجد إنساناً حقيقياً؛ إنساناً بسيطاً

وصادقاً، أبحث عن إنسان لا يرتدي أقنعة؛ إنسان ما زال كما ولدته الطبيعة؛ أبحث عن إنسان كأنه ولد للتو .

يوم وفاته اجتمع حوله جمع من المريدين و سألوه « بحثت طيلة حياتك عن شيء واحد فقط، فهل وجدت إنسانك الطبيعي، البسيط و البريء ؟ »

فأجاب «أرجو ألا تسألوا أسئلة محزنة دافعة على الكآبة، كل ما أسطيع قوله عن جميع من قابلتهم أنهم لم يسرقوا مصباحي !!»

أوقف الاسكندر جيشه و قال أريد أن أرى ديوجين .

كان أول سؤال وجهه ديوجين له هو أول سؤال على كل عاقل أن يسأله لنفسه، لم يضيع الحكيم ثانية واحدة و سأل «تريد هزيمة العالم بأسره ولكن ماذا عنك ؟ بعد أن تهزم العالم، هل ستجد متسعاً من الوقت لتعرف نفسك ؟ و هل أنت متأكد من الغد، هل أنت متأكد من اللحظة التالية ؟ »

لم يسبق للإسكندر أن قابل رجلاً كهذا، لقد هزم ملوكاً و أباطرة عظاماً لكن ديوجين مختلف تماماً... أجاب الاسكندر بعينين تتجهان إلى الأرض« لا أستطيع القول بأنني متأكد من اللحظة القادمة لكنني أعدك بشيء: بعد أن أهزم العالم فأتمنى أن أستريح مثلك تماماً.»

كان ديوجين في حمامه الشمسي الصباحي علي ضفة النهر محاطاً بعدة أشجار جميلة فضحك عالياً ...

أحياناً ما تشعر بأن صدى ضحكات هؤلاء لا زال يتردد في أسماعك لأنهم لم ينقشوا آثارهم على الماء... ديوجين وأمثاله هم أنصار الأبدية في هذا العالم .

شعر إلكسندر بالذنب و سأل « لم تضحك ؟ »

فقال ديوجين « إذا كنت قادراً على الاستراحة دون أن أهزم العالم، فما الذي يمنعك أنت ؟ النهر واسع بما فيه الكافية و يتسع لاثنين، و إذا أردت مكاني فهو لك و يمكنني أن أجد لي مكاناً آخر. إذا أردت الراحة فاسترح

الآن، و إلا ، عليك أن تتذكر بأن هذا مستحيل بعد التأجيل. »

قال ديوجين الحقيقة و لكن بالنسبة لمن هو في رحلة استكبار و غرور فالحقيقة أمر بسيط و واضح... أن تستريح على ضفة النهر لا يغذي غرورك و استكبارك بشيء ، فما الذي تحققه بذلك ؟ و من الذي ستهزمه ؟

يتخذ الناس النجاح، المال و القوة مقياساً لتحديد نوعية حياتهم و لا نعلم بأنه لا يوجد طريقة لقياس النجاح إذا تعاملنا مع الواضح البسيط، ما الواضح و البسيط سوى مقبرة غرورنا و استكبارنا...

علينا أن نتذكر دائماً بأن الحقيقة سهلة ، واضحة وبسيطة ووحدها اللاحقائق هي المعقدة ، فإذا كنت معتاداً على جمع و تسويق الأكاذيب فعليك التحلي بذاكرة جيدة ، أما إذا كنت من أنصار الحقيقة الحقيقية فلا تحتاجها على الإطلاق... الأكاذيب كبيرة و معقدة لدرجة أنها

تحتاج حواسيب حية نسميها ذواكر و الحقيقة غاية في البساطة لدرجة أنها ليست بحاجة لأن تقال .

اعتاد لي تسو Lao Tzu في نزهة صباحية يومية على الأقدام ليشهد شروق الشمس، كان يخرج إلى رابية صغيرة مجاورة لقريته يعتبرها أجمل مكان لرؤية الشروق.

سأله أحد الجيران يوماً « أأستطيع الذهاب معك ؟ »

فأجاب « أما أن تأتي معي فلا يمكن، لا أملك الطريق ولا أملك الجبل كما أنني لا أملك الشروق أيضاً... يمكننا أن نذهب جنباً إلى جنب و لكن تذكر، أنت وحيد و أنا وحيد و لا يمكن قول شيء و لا حتى كلمة.»

كان الجار قد عرف لي تسو لمدة طويلة لذلك وافق على ما طلب... و لكن رغب أحد ضيوف الجار مرافقته في نزهته مع الحكيم، فقال الرجل لضيفه « لا يوجد عند لي تسو سوى شرط واحد: عليك أن تكون وحيداً و ليس حشداً ... اللغة ممنوعة فعليك ألا تقول شيئاً، و بعد ذلك لا أعتقد بأنه سيمانع.»

لن يمانع الحكيم بالطبع و لكن إلى متى سيستطيع هذا الضيف التذكر ؟ عندما بدأت الشمس الجميلة شروقها من ضباب الصباح نسي الضيف كل ما سمعه من مضيفه .

قال جملة واحدة اعتقدها طبيعية مسموحة « يا له من شروق رائع !!» ثم تذكر بأنه وحيد و عليه ألا يقول شيئاً ، فالمجنون وحده من يتحدث و هو وحيد .

عاد الثلاثة إلى القرية، و عند وصولهم إلى المنزل قال لي تسو لجاره «أخبر ضيفك ألا يأتي ثانية فهو مفرط في الثرثرة.»

اعتبرت جملة بسيطة كهذه ثرثرة بنزهة صباح استمرت لساعتين، لا يزال لي تسو محقاً فهذا الضيف يحاول الجدال و المحاورة، فقد قال « أحاول التعبير عن مشاعري لا غير...» لكن الحكيم أجاب « كنت موجوداً أيضاً واختبرت الشروق و جماله، غمرتنا جميعاً الفرحة العارمة نفسها، غنت الطيور و تفتحت الورود، لدي قلب و لست أعمى، أهنتني بقولك شروق جميل... أتعتقد بأنني لا

أستطيع فهم الجمال، إضافة إلى أنك نسيت وعدك... أنت رجل لا يمكن الاعتماد عليه . »

غريبو الأطوار مثل لي تسو و ديوجين هم البشر الحقيقيون في هذا العالم، و لم يتعرفوا على الحقيقة من خلال هزيمة العالم أو غزو الفضاء؛ لم يتعرفوا عليها عن طريق تسلق إيفرست، بل ببساطة جلسوا صامتين دون أن يفعلوا شيئاً فيمكن للعشب أن ينمو بمفرده دون مساعدتك، عندما تأتيك الحقيقة بكامل حريتها و براءتها فإنها تمضي عميقاً إلى أعمق مركز في وجودك، فالحقيقة ليست فكرة لا بدعة فكرية بل هي من أصل الوجود .

نعم بالتأكيد، لن يبقى الإنسان كما كان بعد اختبار الحقيقة الصادقة ، فقد استقرت كالسهم في أعماق قلبه فكيف له أن يبقى الشخص ذاته ؟ فقط فكر بإنسان أعمى أمكن علاج عينيه و بدأ يرى النور و الألوان فهل يمكن أن يبقى الشخص نفسه قبل و بعد النور ؟ سيكون شخصاً مختلفاً بالتأكيد .

من الممكن ألا تعلم بأن ثمانين بالمئة من اختبارات الحياة تأتي عن طريق العينين و تتقاسم الحواس الأربع الباقية العشرين المتبقية... ليست مصادفة أن يكون من فقد عينيه الأكثر إثارة للتعاطف من غيره .

دون إدراك المسببات يحيا الإنسان على فطرته الطبيعية والاجتماعية... يختبر الإنسان الأعمى عشرين بالمئة فقط من حياته أما الثمانين الباقية فهي غير موجودة... لا ألواناً و لا صور؛ لا شروقاً و لا فراشات تطير؛ لا جبالاً عليها ثلوج أبدية و لا سماءً تملؤها النجوم و لا جمالاً للشروق و لا جمالاً للغروب... لقد اختصرت حياته إلى حدها الأدنى .

في الحقيقة لا تكون اختباراتك اختبارات ما لم تعمل على تغييرك و إلا فهي غيوم في فكرك ليس إلا... عندما تشعر بالحقيقة فإنها ستعمل على تغيير كامل حياتك و سيصل أثرها الإيجابي إلى كل فعل تقوم به و إلى كل موقف تتخذه .

الطريقة الوحيدة لتعلم فيما لو عثر أحدهم على الحقيقة أم لا هي أن تبدأ عيناه؛ تعابيره و كل شيء فيه بالتأثير بك بطريقة مختلفة تماماً عما تأثرت بأي وجود آخر أو بأي إنسان آخر... قد لا يتحدث بشيء لكنه يغمرك بصمته، قد لا ينظر إليك لكن يستحيل عليك أن تنسى عينيه اللتان تأسرانك و تلاحقانك كظلك .

تبدو كلماته و كأنك قائلها و لا يمكن للمعاجم شرحها أو ترجمتها، لكنك لست معجماً... عندما يتحدث بوذا أو أوشو فهما يستخدمان الكلمات التي نستخدمها و لكن بطابع آخر و بمعنى مختلف من الصفاء و المصداقية و من الحب و العطف الذي لا تحمله الكلمة بالضرورة .

أما إذا كنت مستعداً و قابلاً للتغيير؛ إذا تمكن السهم من اختراقك و إصابتك في القلب فستفتح فيك نافذة كانت مغلقة ربما لملايين الحيوات، و ربما تستطيع اختبارات عظيمة من الدخول إليك عبر تلك النافذة الصغيرة عاملة على تغييرك بكليتك .

أمضى المهافير أربعة أشهر من فصل الأمطار في إحدى المدن التي اعتادت على وجود لص محترف دعاه الناس فيما بعد « اللص المعلم » فلم يتمكن أحد من إلقاء القبض عليه... مع مرور الأيام أصبح دخول اللص المعلم إلى منزل أحدهم عاملاً مسبباً للهيبة و المفاخرة لأنه لم يعتد سوى على دخول بيوت الملوك و الأغنياء، و لا حاجة به للفقراء ومنازلهم ... كان اللص المعلم يدرب ابنه ليكون خليفة له في الفن الذي اعتبر معلماً فيه .

قال المعلم اللص لابنه يوماً « عليك أن تصغي لشيء واحد مهم و هو ألا تصغي لكلمة واحدة من هذا الرجل، أي المهافير، حتى لو مررت بالصدفة ووجدت أنك ستسمع شيئاً فاغلق أذنييك لأنه قادر بكلمة واحدة على تدمير كل جهودي التي أبذلها لجعلك خليفة لي .»

لقد دربه لأعوام طويلة و يخشى رجلاً كهذا يمكنه بكلمة واحدة تدمير العمل برمته... ربما لم يستمع هذا الشاب للمهافير من قبل و ربما أنه لم يفكر بذلك مطلقاً ،

إلا أن كلام الوالد ولد فيه فضولاً كبيراً... ذهب الشاب في إحدى الأمسيات و استمع لجملة واحدة لكنه شعر بالرعب فلم يكن والده رجلاً عادياً، فالقتل هي عقوبته الوحيدة فيما لو علم الوالد بما حصل، لكنه سمع الجملة و هرب .

في تلك الليلة كان الوالد في قصر الملك حيث سرق جواهراً و هرب... ألقي القبض على الابن الشاب الذي لم يشترك بالعملية؛ ألقي القبض عليه عائداً من مجلس المهافير و قد سمع جملة عديمة المعنى تدور حول أهل الجنة و صفاتهم الغريبة حيث سمع بأن أقدامهم تتجه إلى الخلف و ليست كأقدامنا... يسيرون إلى الأمام لكن أقدامهم تتجه إلى الخلف .

ألقي القبض على الشاب عوضاً عن والده بسبب التشابه بينهما رغم اختلافهما في العمر لكن للظلام اعتباراته... استخدمت الشرطة إحدى طرقها لجعله يعترف .

أعطي كمية كبيرة من الكحول ليشربها جعلته يغط بنوم عميق... استيقظ عند منتصف الليل فوجد نفسه في قصر جميل محاطاً بنساء لم يرى بمثل جمالهن و قد حضرت لأجله أفخر الأطعمة فاعتقد أنه مات و أدخل إلى الجنة .

لكنه تذكر قول المهافير بأن أقدام أهل الجنة تتجه إلى الخلف فنظر حوله فرأى كل شيء طبيعياً فأدرك أنه من الممكن أن يكون قد اعتقل، فقد قالت له النساء الجميلات أخبرنا بكل ما فعلت فأنت في غرفة استقبال الجنة لتعطي تفصيلاً عن حياتك قبل الدخول .

أوشك على تقديم كشف مفصل عن حياته لكنه توقف فجأة وقال لنفسه « إلهي لو لم أستمع لتلك الجملة لانتهيت اليوم، فرغم أنني لم أرتكب سرقات كبيرة إلا أنني ارتكبت أشياء أصغر، إنه كل ما تدربت عليه...» لذلك بقي صامتاً .

سؤل ثانية و ثالثة و رابعة لكنه احتفظ بجواب واحد« لم أفعل شيئاً ، أنا رجل صمت و لست رجل فعل ... أنا متأمل» و ذلك لم يكن أمام الشرطة سوى إطلاقه عند الصباح .

لم يذهب إلى البيت بل ذهب إلى المهافير وقال « أنقذت حياتي جملة واحدة سمعتها لا علاقة لها بشيء، أصبحت حياتي منذ اليوم ملكاً لك و لم تعد ملكاً لوالدي... إذا أمكن لجملة واحدة إنقاذي فيا له من تحول إذا استطعت سماع كلامك كاملاً و فهمه، و أنا على استعداد لفهم حتى صمتك غير القابل للكلام . »

فقال المعلم « سأقبلك و لكن بشرط واحد: أن تذهب وتخبر والدك بما حدث، هذا واجبك الأول فما يقوم به والدك غباء و حماقة و يحتاج من ينقذه. »

شعر الشاب بالرعب لكن توجب عليه الذهاب... لأول وهلة صدم الوالد عند سماع القصة لكنه سرعان ما أدرك أنها الحقيقة... و كانت النتيجة أن بدأ المعلم اللص و ابنه التحول على يد الرجل .

لا تعمل آثار أناس كالمهافير على تحويل الأشياء فحسب، بل إنها قادرة على التغيير الكلي و تعطي كلماتهم باستمرار معان جديدة؛ تعطي عطوراً و يرسل صمتهم رسائلاً .

إن ما حدث مع اللص و ابنه يمكن أن يحصل مع إي إنسان لديه قابلية صادقة للتحول لكن عليه أولاً أن يتحرر من أطماعه الاستكبارية و يشرع برحلة فهم عميق لنفسه .

تعني معجزة الفهم العميق للنفس أن تفهم أسرار الوجود العميقة، و لكن لا يعني الفهم هنا ما ألفناه في ثقافتنا ومعارفنا المستوردة و إنما يعني الإحساس و التلمس؛ يعني أن تحيا الاختبار و ترقص معه و يعني أن تغنيه... عليه ألا يصبح معرفة و معلومات بل يجب أن يصبح حياتك كاملة... يجب أن تذوب باختبارك و يذوب بك .

و لكن لسوء الحظ هناك فئة ممن هم تجار للألغاز؛ ممن يتسولون بطريقة أو بأخرى؛ ممن يجمعون الحثالات من النصوص و المخطوطات، من أناس آخرين و من كل قديم

كاسد و فاسد ثم يصنعون من كل هذا غطاءً لجهلهم... هؤلاء هم الفئة الأكثر غباءً في هذا العالم لكنهم حكامه، فقد أكسبتهم معارفهم قوة جعلتهم قادرين على ذلك .

على من يريد فهم سر الوجود أن يتجاوز فكرة القوة برمتها؛ عليه أن يتجاهل و جوده في هذا العالم كأنه غير موجود، و عندها فقط يفاجأ بأن كل الأبواب قد فتحت . ليست الجنة في مكان آخر و بعيد... الجنة الآن عندما تنفتح جميع أبوابك أمام الوجود... في هذه اللحظة و على هذه الأرض تكون قد دخلت جنة المعلمين .

إن أخطر المجرمين في هذا العالم هم الذين علمونا بأن هناك جنة فوق السماء حرمونا و حرموا أنفسهم من الجنة التي بين أيدينا في كل لحظة .

فرحاً و ليس قبولاً

سئل أوشو مرة « ما هو القبول الكلي ؟ »

تحمل هذه العبارة في الحقيقة في أحد أركانها ظلاً لعدم القبول ... تم التبشير و الوعظ بهذه العبارة لأننا و ببساطة نحيا بحالة « رفض كلي » فعلينا دائماً أن نحكم بوجود خطأً ما بكل ما يحدث حولنا.

شيء واحد علينا فهمه و هو: كل ما ندعوه صفات وخصائص دينية نتصف بها ما هي إلا ردود أفعال، وكانت نتيجة ردود الأفعال هذه أن تحولنا إلى العنف و القسوة وبدأنا عندها بتطوير نظرية اللاعنف.

قد يدرك من يتحول إلى العنف عقلياً خطأ ما هو عليه و قد يتعدى ذلك إلى حالة من الشوق و الرغبة ليكون إنساناً مسالماً و معادياً للعنف، و لكن لا بد للاعنف هذا أن يحمل الموقف المتشدد نفسه .

لا يقتصر هذا على الأناس العاديين بل أن أناساً كالمعلم والزعيم الهندي غاندي كان رافضاً، غاندي الذي أصبح رائداً لحركة اللاعنف ستجد أن عنفاً قد تجذر عميقاً في حياته... و لك بعض الأمثلة .

كان غاندي رافضاً لكل شيء تم تطويره اعتماداً على العلم، التكنلوجيا و الذكاء الإنساني وخاصة بعد استعمال عجلات الغزل الآلية التي اعتبرها توقفاً للتاريخ، ولكن لماذا اتخذ هذا الموقف و لماذا كان متشدداً ؟ لا تستطيع النظرة المباشرة تفسير ذلك و لكن لو استمر توسع انتشار تلك الآلات و لا سيما في الشرق سيفقد العديدون أعمالهم... لا زالت هذه المشكلة في تزايد حتى الآن إضافة إلى أنها عمت العالم بأسره و خاصة بعد انتشار الحواسيب و الأتمتة الصناعية.

في حياته الخاصة و العائلية كان غاندي قمة في القسوة والعنف، فقد أراد ابنه الأكبر هاريداس أن يتعلم على الطريقة الغربية الأمر الذي كان غاندي رافضاً له طيلة

حياته... هل ترى في هذا الرفض شيئاً من اللاعنف ؟ لا يدرك إنسان الحب و العواطف سوى عالم واحد، لكن غاندي قال لهاريداس « إذا أردت تلقي علوماً غربية فلن ترى وجهي ثانية.»

لقد أغلقت جميع الأبواب أمام هاريداس الذي لم يسمح له فيما بعد بإشعال النار في جسد والده عند الوفاة، فقد كان الوالد واضحاً و اعتبر تعلم ابنه بمنزلة الحياة والموت، كل ذلك لأن الابن الأكبر أراد أن يتعلم على الطريقة الغربية .

كان لدى غاندي بعض الأفكار التعصبية التي لا يمكن أن تتوافق مع اللاعنف بأي شكل من الأشكال، فقد كان يقول مثلاً «على الجميع المساهمة بتنظيف المراحيض!» و بالطبع نعني هنا المراحيض الهندية و ليست الغربية التي فيها بعض وسائل النظافة... لم تستطع زوجته أن تفهم عندما أجبرها على المساهمة في تنظيف دورات المياه العائدة لتلاميذه فرفضت لكنه قال لها « إن لم تفعلي

فلن يعود هذا المنزل منزلاً لك و لن أعود زوجاً لك... » قد يتناسب هذا مع رجل دكتاتوري عنيف أما أن يظهر من رجل محب، فلا أظن ! { و لكن هل كان غاندي يسهم شخصياً بتنظيف المراحيض ؟ الجواب هو : لا أعلم }

اختبأ هاريداس مرة في جمع من المواطنين في إحدى محطات القطار عندما صادف والديه بالقطار عبرها، فقد أراد الابن رؤية وجه والدي عن بعد و لم يسمح لنفسه بالاقتراب... أعلم غاندي من قبل مرافقيه بأن هاريداس ينتظر في المحطة القادمة فأمر على الفور بإغلاق جميع الأبواب و النوافذ في المقصورة و قال لزوجته الباكية «كفي عن البكاء لأن بكاءك دليل على أنك مع ابنك ولست معي!» كل هذا بسبب العلم بطريقة معاصرة .

كما نعلم فقد بارك غاندي أول ثلاث طائرات لتذهب و تهاجم المسلمين في الهند .

و هكذا نرى أن هناك العديد من مواقف العنف في حياة هذا الرجل و التي تمت تغطيتها بمظلة اللاعنف.

علينا أن نتذكر أمراً: إما أن يكون القبول كلياً أو أنه ليس قبولاً على الإطلاق، أما عندما نقول « قبول كلي » فنظهر أننا نكبت في لا وعينا شيئاً ما و نستخدم كامل قوانا للإبقاء عليه مكبوتاً .

فعلى القبول أن يكون بسيطاً .

على قبولنا أن يكون عفوياً و عليه ألا يكون ناتجاً عن الالتزام بإيديولوجية معينة؛ يجب أن ينبع قبول أحدنا من فهمه و عندها لا حاجة بنا للسؤال فيما إذا كان قبولاً كلياً أم غير كلي .

وضوح الرؤية وحده من يريك إذا كنت قابلاً أم غير قابل، أما « قبول كلي » فلا يظهر شيئاً عن اختبار عميق في هذا الخصوص... لم التركيز على «كلي، جداً» و غيرهما من وسائل التأكيد؟ يظهر هذا أن هناك شيئاً مكبوتاً لم نفهمه... و نكرر هذا في أبعاد متعددة من الحياة فعادة ما نقول « عقة كاملة، قداسة مطلقة و استسلام كلي » لم نحتاج قباحة هذه الكلمات للتأكيد... انظر في الحياة

العادية، أيمكن أن تقول لفتاة « أحبك كلياً أو أحبك تماماً » ألا يكفي الحب وحده و لا حاجة لهذه الـ«كلياً»... في اللحظة التي نستخدم فيها هذه الكلمة يولد الشك، حيث نحاول إخفاء شيء ما باستدعاء كلمات عظيمة كهذه .

القبول جميل و لكن أن يكون كلياً فلا؛ جميل أن يظهر القبول و قد أشرق من أعماق و عيك و ليس من النصوص أو من تعاليم من نسميهم معلمين ينتشرون في العالم .

إنه فهمك الحقيقي، و عندما يصبح الأمر كذلك فلا حاجة لشيء، و حتى القبول يصبح عديم الجدوى و المعنى .

عندما يسود الصمت، عندما تغني الطيور على الأشجار وعندما نتلقى أشعة الشمس فهل يتبقى أي معنى أو سؤال عن قبول أو عدمه ؟ إنه يحدث بكل بساطة و ليس وفقاً لنظريات و تدريبات فكرية، أنت هناك بإرادتك و لست بحاجة لبذل الجهود و يا له من جمال فأي جهد سيدمر كل شيء .

دعنا نكرر هذا بطريقة أخرى...

هل تحتاج جهداً لتحب ؟ هل يحتاج العطف و الحنان لبذل أية جهود ؟ هل تحتاج حياتك لبذل الجهود؛ أيتعبك التنفس؛ أيتعبك قلبك في خفقانه ؟

و هكذا تسير الحياة بعفويتها و براءتها، و تتدفق كنهر سعيد و يحدد كل من وضوح رؤيتك و قابليك للتلقي في أي اتجاه تسير، و لكن دون جهود لأن هذه الأخيرة دليل على وجود انقسام فيك حيث يحاول جزء قيادتك باتجاه محدد ويحاول جزء آخر قيادتك باتجاه آخر و هنا يأتي الجهد... لا يمكن أن يحيا مع الجهد سوى إنسانية انفصامية .

لم يعرف أوشو بحياته أية جهود، و لا يمكن لإنسان بذل الجهود أن يعرف التوافق و التناغم مع الوجود... فمع من نتصارع ؟!! فما الجهد إلا صراع .

لا حاجة في الحياة لتدريبات و لا حاجة لأوامر، لا تريد الحياة منك أن تصبح أحدا، بل تريدك أن تكون أنت

وحسب... جميل أن تكون أنت و جميل أن تتعرف على الطريقة التي تكون فيها أنت .

لا تبذل الأشجار أية جهود... الشجيرة الصغيرة سعيدة و هي بغاية السعادة لأنها صغيرة، و الأشجار الأبدية الطويلة سعيدة و هي في غاية السعادة لأنها طويلة ولا حاجة للمقارنة و لا حاجة بينهما لولادة أي شعور بالدونية أو الفوقية... إنها عفوية و براءة كل منهما...

إنهما كما هما .

و في هذا الاسترخاء الأبدي يلقي القبول بظله، يأتي بهدوء و صمت و دون أي وقع للخطى .

أما أن نقول « قبول كلي » فمعناه أن هناك في داخلنا ما هو غير مقبول و ربما يكون هو جزء الدونية و نستحضر هذه الكلمات و الجمل لكبته .

قدم شاب إلى أوشو و قال « أريد الاستسلام الكلي بين يديك !» فأجابه « عد من حيث أتيت إذاً، فقد طرقت الباب الخاطئ، و عندما تزول لديك كل فكرة عن

الاستسلام و عن الكلية سترى أبوابي مفتوحة أمامك، أرحب بك و أفرح بقدومك و لكن كما أنت دون تقليم للأغصان و دون التقولب بأية مثالية و لن، تفعل جميع الأديان في العالم الشيء نفسه و هو أن تطلب منك أن تكون شيئاً ما و ألا تكون كما أنت .»

ثم قال لأحد تلاميذه و يدعى آمرت و قد أوشك على إصدار كتاب بعنوان « سنوات من الإعداد » « ستكون هذه آخر الكلمات في حجك المقدس و في رحلة بحثك عن الحقيقة...» يحمل عنوان كتاب هذا المريد و الذي سيصبح معلماً معنى خطيراً، حيث يدل على أنه يعد لتحقيق شيء ما؛ يعد ليكون شيئاً ما، أي أن هناك خطة محددة، فلربما يعد هذا الإنسان أن يكون بوذا أو المسيح مثلاً؛ قد يكون هناك هدف بعيد المنال يصبو لتحقيقه... فقال أوشو «هذه كلماتي و عليك وضعها بين قوسين: ذهبت أعوام الإعداد هذه سدى فلا زلت كما أنت.»

قد يكون الكسل مفيداً بعض الأحيان و خاصة عندما يدرك الإنسان الحقيقة... عندما يعلم الإنسان مكانه الحقيقي فلا حاجة للدوران الكثير حوله، لا يمكنك أن تكون شيئاً لست معتاداً على أن تكونه، و لا حاجة لتعد لم اعتدت أن تكون .

لكن آمرت قال بأنه طيب القلب و بريء كالأطفال و بأنه متحرر من حب المال و حب القوة و متحرر من الحب المشروط و من العلاقات .

عاد أوشو و قال « هناك شيء آخر عليك التحرر منه...» فنظر التلميذ و قال «ما هو ؟ » فقال المعلم « هو تحررك من الشوق لتكون شيئاً ما ، فأنت ذلك الشيء ، أما الآن فعليك أن تعلم بأن رحلتك كانت تدريباً على الضياع فلا زلت تقف لا حيث أنت و تحلم بتحقيق شيء ما... إذا لم تنجح تلك السنوات بتحقيق هذا التحرر لك فهي عديمة الجدوى.»

يأتي الإنسان إلى هذا العالم باحثاً و سائلاً و هذا طبيعي بحالة أو بأخرى، و يأتي النضج عندما يدرك أحدنا «إلهي،

أنا هو الإنسان الذي أبحث عنه » لذلك سيبدو عنوان آمرت غريباً بعض الشيء بالنسبة لمن توصل لاستنتاج كهذا في النهاية... سنوات من الإعداد... و لماذا يعد ؟ إعداد ليعلم أنه ليس بحاجة ليعد إلى شيء.

كما تابع أوشو محدثاً آمرت عن مجموعة ثمينة و فائقة الجمال من الصور وجدت في الصين في أيام لي تسو وتشانغ تسو Chuang Tzu ، و هي عشر صور تصف رحلة السائل أو رحلة الحج المقدس لأحدنا.

دعيت هذه الصور بـ« الثيران العشرة للزن »... حيث يضيع الثور في الصورة الأولى و من الطبيعي أن يبدأ صاحبه بالبحث عنه في كل مكان حيث لا يعثر على شيء في البداية، أما في الصورة الثانية فيجد آثار أقدام... قد عثر على دليل الآن، أما في الصورة الثالثة فيجد الرجل الثور، لا يراه كاملاً بل يلمح ذيله بجوار شجرة كبيرة... بدأت الآن الأمور تتوضح شيئاً فشيئاً، و يرى في الصورة الرابعة نصف الثور .

يرى الرجل في الصورة الخامسة الثور بأكمله، و يمسك به من القرون في السادسة أما في السابعة فيمتطيه عائداً إلى البيت... في الصورة الثامنة أدخل الثور إلى مكانه المعتاد، وفي التاسعة يجلس الرجل خارجاً يعزف على نايه .

عندما نقلت هذه الصور إلى اليابان تم إسقاط آخرها و هي العاشرة، و قبلت التسع الأولى فقط... ما الذي تحتاجه أكثر ؟ عدت إلى المنزل و جلست تعزف الناي... كل شيء رائع الجمال فقد عثرت على ما فقدت .

في الحقيقة علق اليابانيون عند الصورة التاسعة و أسقطوا العاشرة و هي الأهم بين الجميع إلا أنها تخالف موروثاتهم الدينية و الأخلاقية... في الصورة العاشرة يذهب الرجل إلى السوق حاملاً بيده قارورة من نبيذ يسكر... الآن يعود بوذا إلى المنزل !!

مالم يصبح بوذا عادياً فلا زال كل شيء رحلة استكبار لا غير و أن تصبح عادياً معناه أن تصبح كالأشجار و الطيور؛ أن تصبح كالحيوانات و الجبال و قبل ذلك لا حاجة لأي

حديث عن أية رحلة روحية لأن كل شيء لا زال رحلة استكبار و غرور .

مؤلم أن بوذا صرخ مرة « أنا هو المستنير الوحيد في هذا العالم و لا يمكن لإنسان بلوغ استنارتي ! » إنها مشكلة الضياع في الصورة التاسعة... إنها مشكلة أن نصبح ما اعتدنا أن نكون .

إن الفكر مخادع للغاية بأساليبه و ممارساته، فهو يريد أن يصبح الرجل الأغنى في العالم؛ يريد أن يصبح الرجل الأقوى في العالم... أن يكون «الأكثر» في أي شيء، المهم أن يحتل القمة... من الصعب أن ترى بوذا في حانة لكنها المكان الصحيح، فقد عاد إلى البيت و قبل عفويته الطبيعية .

لا حاجة للتفكير بقبول كلي بل الحاجة للبحث عن جلاء أكثر، عن عفوية أكثر و عن طبيعية أكثر و سيأتي القبول كظل لهؤلاء ... لا تنشغل به .

الحياة بحد ذاتها قبول عظيم دون أن نعلم بذلك... أتقبل عينيك تماماً؟ أتقبل جسدك تماما ً؟ أتقبل تماماً حالتك الحياتية ؟ تدفعنا فكرة القبول التام و التي فرضت علينا للشعور بالتعاسة ذلك لأننا نقع و باستمرار بفخ المقارنة، فلأحدهم عيون أجمل من عيوني و لآخر جسد أقوى و قد يكون أحدهم متعلماً أكثر... و هكذا تستمر المقارنات حتى تصل بنا لشعور بالدونية يعمل باستمرار على التهام قلوبنا، و بالتالي نتحول إلى التعاسة أكثر فأكثر، والسبب الوحيد هو الاستمرار بإقامة تلك المقارنات غير الضرورية... لا حاجة للمقارنة فلا يوجد في العالم شخص مناسب تقارنه بنفسك .

أنت فرد وحيد و مميز، و كائنة ما كانت حالتك فتلك هي الطريقة التي أرادها لك الوجود فاستمتع بها .

و الآن علينا تجاوز القبول أيضاً و تغييره و السبب أنه لا فرح في القبول، فهناك دائماً ما يجب فعله... هناك من هم

أجمل مني، هناك من هم أغنى مني و هناك من هم... فما العمل إذاً إنه القبول و الرضا.

لا نقصد القبول بهذه الطريقة؛ لا نقصد القبول الذي علمتنا عليه الأديان بل القبول الذي يستنهض الفردية فينا .

أنت كنفسك و لا يوجد في العالم – سواءً في الحاضر، في الماضي أم في المستقبل من يشبهك... لقد منحك الوجود فردية مميزة فحلق بها فرحاً و عند التحليق سيأتي القبول دون أن تفكر به... لا تشعر أو تحاول أن تكون أحداً ما لأن الوجود يريدك أن تكون «لا أحد» يا له من فرح غامر أن تكون « لا أحد. »

عندما كان أوشو طفلاً في المدرسة اعتاد معلموه على القول « سينتهي بك المطاف باللاأحدية » أي أنه سيكون لا أحداً{كانوا يقصدون الفشل المدرسي بالطبع }لكنهم كان محقين بالمصادفة رغم جهلهم فأوشو أعظم و أسعد الناس بما حققه كونه نجح في أن يصبح لا أحداً... بعد فترة اعتاد على زيارة قريته و أحياناً ما كان يقابل من

كانوا معلمين له في المدرسة و الذين كانوا يحاولون أن يصبحوا أحداً و يسألهم كيف تسير معهم الأمور فهو سعيد كونه لا أحد و لا يبدو عليهم سوى البؤس و التعاسة.

تجاوز كل شيء عن القبول و القبول الكلي، فلم علينا كل ذلك ؟ أن تقبل نفسك فكرة كبت و قسوة... افرح، ارقص و غن و اجعل العالم يدرك بأنك وحيد، مميز و لا يمكن لأحد الحلول مكانك، هذه هي الطريقة الوحيدة للبحث الصادق عن النفس... فلا مقارنة و لا حاجة .

مدهش لكنه حقيقي أن نعلم بأن العديدين ممن ندعوهم عظماء التاريخ كانوا يعانون من عقدة الدونية... لم يتجاوز طول نابليون بونابارت المئة و السبعين سنتيمتراً الأمر الذي عذبه طوال حياته، فقد كان أقصر من جميع حراسه... ويروى أنه كان مرة يصلح صورة في غرفة نومه فلم يستطع الوصول إليها فقال الحارس « دعها لي فأنا أعلى منك » غضب بونابارت و قال « عليك أن تستبدل تلك الكلمة فقل

«أطول»...» و لكن ما الفرق ؟ تتميز الكلمة «أعلى» بوقع شديد و إحساس بالدونية، «أما أطول» فمعتدلة و تبدد الكثير من ألم الدونية.

و لكن لم يتجاوز طول أوشو أيضاً المئة و السبعين سنتمتراً لكنه لم يعاني من أية دونية و لم يذكر ذلك عنه أحد، فالمهم حسب رأيه أن تصل قدماك إلى الأرض و مهما كنت طويلاً فلن تلامس رأسك السماء .

لم يكن أبراهام لينكولن رجلاً وسيماً، كما كان يعاني من لعثمة و تأتأة في الكلام مما جعله يشعر بالدونية فهذا غير لائق بمرشح رئاسي كما يقلل من فرص الفوز في الانتخابات... اقترحت عليه طفلة صغيرة « لو كانت لك لحية صغيرة لمنحت وجهك شكلاً أكثر جمالاً » عمل بنصيحة الفتاة فنجحت اللحية في الانتخابات و فشل هو ... لم يجد كل ذلك لينكولن نفعاً فقد بقيت عقدة الدونية موجودة تلاحقه و لم يعلم ماذا سيفعل بتلك التأتأة... لقد شعر بالدونية حتى مع الإنسان العادي .

بنظرة نفسانية حكيمة و عميقة و نجد أن معظم السياسيين ولدوا من عقدة نقص و دونية فهذه الأخيرة جرح مؤلم يدفع بصاحبه ليثبت للعالم بأنه ليس كذلك « أنا رئيس ، أنا رئيس وزراء و أنا وزير...» لكن السعيد بنفسه هو آخر الملتحقين بصفوف السياسيين بمستنقعهم .

في اليوم الذي تصبح الإنسانية فيه سعيدة بإنسانيتها يختفي السياسيون و تختفي الأديان، يختفي الكهنة و القديسون و يختفي الأخلاقيون فجميع هؤلاء هم أناس امتلؤا بالقباحة و يحاولون تغطية شعورهم بالدونية بأن يصبحوا شيئاً ما أو ادعاء ذلك على الأقل... إنهم منافقون... إن عالماً دون سياسيين؛ إن عالماً دون كهنة و قديسين؛ إن عالماً دون من ندعوهم معلمين سيكون عالماً جميلاً و آمناً؛ سيكون كحديقة مليئة بالورود و قد أشرقت عليها شمس صباح أجمل أيام الربيع... فلسنا بحاجة للحروب و لسنا بحاجة لدول و أمم؛ لسنا بحاجة لأن يدعي أحد أفضليته و لا حاجة ليعاني آخر من جرح الدونية .

الهدف هو أن يكون كل فرد و بصدق كما أرادت له الطبيعة أن يكون و ستختفي مشاكل العالم من تلقاء نفسها لأنها وليدة العصابية و الانفصامية و غيرهما من أنواع الجنون التي تعبر عن نفسها و تتمظهر بمظهر الأغنى و الأقوى .

ولد كل إنسان بقدرات و مواهب محددة، فإذا قبل ما هو و استخدم تلك القدرات لإبداع شيء ما فلا شك أنه سيكون سعيداً بكونه « لا أحد.»

لا يشترط أن تكون أغنى رجال العالم أو أقواهم لتكون سعيداً فهذه طرق صبيانية سخيفة ورثناها عن أسلافنا البدائيين .{و لكن ليسوا الطبيعيين }

فلننسى كل شيء عن القبول و القبول الكلي و لنستبدل به الفرح بأنفسنا و عندما نفرح بأنفسنا يفرح بنا الوجود؛ عندما نفرح بأنفسنا نكون قد بدأنا بالتناغم مع الرقص الجميل المتناغم الذي يملأ الوجود من حولنا .

وحده الإنسان مفكك و ممزق و السبب في ذلك أنه يريد أن يصبح أحداً مميزاً و إذا أردت أن تكون مميزاً عليك أن تقبل أحد أنواع الجنون .

ما لم تفرح بمن و ما و أين أنت فلا يمكن القول بأنك سليم عقلياً ، فالمعنى الوحيد للسلامة العقلية هو استمتاع الإنسان بطبيعته .

آن أوان التحرر

عندما يصبح تدفق الحكمة من قلب الإنسان إلى لسانه عملية عفوية ومستمرة؛ عندما لا يستطيع الكف عن الإصغاء و الاستماع لتلك الحادثة التي استولت على حياته... هنا ، أيتوجب عليه فعل شيء ؟ أيمكن اعتبار هذه الحادثة بمثابة توصل إلى رسالة صحيحة و منهج جيد؟ أم أنه الوقت المناسب لرؤية الحقيقة بكامل جلائها ؟

رغم أن العديدين منا غير مستعدين لسماعها أو رؤيتها ، إلا أن اليوم الذي سيتمكنون فيه من إدراك الحقيقة أو على الأقل امتلاك الاستعداد لمواجهتها آتٍ لا محالة ، و لكن علينا القول و كبذرة لهؤلاء بأن حقيقة الرسالة الصحيحة و المنهج الجيد هي لا الرسالة رسالة و لا المنهج منهج... فالمنهج الجيد سيء و لا زال سيئاً .

أما الرسائل و المناهج الدينية فهي في الحقيقة ألعاب روحية لأناس أحبوا اللعب فأكسبتهم كلمة «روحية» استكباراً و غروراً أكثر .

يستمتع البعض بكرة القدم و يستمتع آخرون بالمقامرة بالأوراق، هناك من يدعو هذه الأشياء ألعاباً دنيوية أو أرضية ، لكن الحقيقة هي أن اللعبة لعبة و لا يوجد ما هو أرضي أكثر من الألعاب .

يحاول البعض أن يحرز نجاحاً أكثر و يحاول آخرون أن يصبحوا أغنى و هناك من يسعى لتحقيق قوة أعظم و كل هذه أشياء أجمعت الأديان على إنكارها دون استثناء .

و لكن عندما يبدأ أحدهم بالترقي في مستويات الوجود أكثر منا ينسى و ننسى أنه يمارس اللعبة نفسها بأسلوب مختلف و بقواعد مختلفة... إنه الغرور نفسه «الأنا» الذي يحاول أن يثبت لنفسه بأنه أسمى من غيره و بأنه أفضل من غيره... إنه الفكر المقارن التفضيلي، و الفكر المقارن التفضيلي في حالة دائمة من الصراع و الضياع .

عندما يصبح الفكر فكراً مقارنا تفضيلياً يكف عن كونه فكراً سليماً .

إذا أنت سمحت للأشياء بالحدوث دون أدنى اختيار؛ إذا استقبلت باحترام عميق و بقبول يفيض بالامتنان، و إذا نظرت لتلك الأشياء على أنها عطايا ثمينة من الوجود العظيم تكون عندها قد أصبحت عفوياً... و أي اختيار بسيط من قبلك؛ أي تعديل مهما كان طفيفاً سيفقدك سر الموضوع بأكمله .

إذا أردت أن ترى الوجود كما هو دون أي اختيار، فهذا ما تعنيه العفوية، و لكن لا تعني العفوية أنه لا يتوجب عليك فعل شيء . { تسيير و تخيير }

سوء فهم كبير لكنه شائع و لا سيما بين صفوف السائلين و مريدي التأمل ذلك بأنهم قادرون على بذل الجهد لتحقيق العفوية... نبذل الجهود لتحقيق العفوية ثم لا ندري مادا نفعل يؤكد الذين أدركوا الحقيقة عن طريق الاختبار وليس عن طريق المعرفة شيئاً واحداً : أنت كما تستطيع أن

تكون؛ أعطيت لك حقيقتك الجوهرية و لا يمكنك تحقيقها في المستقبل ... قد لا تتمكن من إدراكها في الحاضر لكن هذا لا يعني بأنها غير موجودة بل يعني ببساطة أن عيناك مغلقتين، يمكن لأحدنا أن ينتظر شروق الشمس مغمضاً عينيه، و على ذلك سيبقى بظلمة و حتى بعد الشروق و لكن بالطبع لا يمكنه إنكار وجود الشمس بل يظهر ما لديه من حماقة إذا فعل... افتح عينيك فقط و ستجد كل ما تحتاجه قد أعطي لك .

كان أحد الصوفيين و يدعى جنيداً ينهي صلاته بشكر عميق تجاه الوجود قائلاً « تغمرني بالحب و بالعطايا إلى الحد الذي يجعلني أشعر بالحيرة و العجز تجاهك، فكيف لي رد الجميل ؟ اقبل شكري الهزيل هذا و اقبل دموعي فلا أملك ما أعطيه لك. »

كان جنيد و بعض من تلاميذه في رحلة حج، و صادف أن توجب عليهم المرور و لثلاثة أيام متتالية في قرى يسكنها مسلمون متشددون، و بالطبع يستحيل لمثل هؤلاء تقديم أي

طعام أو شراب و حتى الماء لجنيد و تلاميذه، كما كان عدم الحصول على مأوى أمراً مفروغ منه .

لثلاثة أيام متواصلة في الصحراء، لا طعام و لا ماء و لا مأوى لم تتغير صلاة جنيد أو شكره تجاه هذا الوجود، ولكن كان ذلك فوق احتمال التلاميذ عندما تمر الأيام بخير فهذا جيد و مقدور عليه، و لكن ثلاثة أيام بلياليها الباردة دون طعام أو ماء فكثير.. و لا أمل بأن يكون الغد أفضل... واجه التلاميذ معلمهم و قالوا « لكل شيء حدود و قد استمعنا لصلاتك أعواماً و آمنا بأنها متناغمة مع الوجود الذي أعطانا كل شيء، لكننا اعتقدنا بأن هذه الأيام الثلاثة ستغيرك و تجعلك أقل امتناناً تجاه الوجود أو أنك ستشكو أو تتذمر، لكننا نراك ما زلت كما كنت، لا نستطيع أن نفهم فالشكر نفسه و الدموع نفسها ... فلمن كل هذا الشكر ؟ »

ضحك جنيد وقال « كانت هذه الأيام الثلاثة هي الأهم في حياتي، أرتني هذه الأيام فيما إذا كنت شاكراً أم لا؛

فيما إذا كان شكري مخادعة ذات هدف أم أنه شيء ما قد أشرق في قلبي... بقدر ما يهمني الأمر لا أملك حق الاختيار، فأنا بحاجة لكل ما يعطيه الوجود لي، وهكذا كنت بحاجة لهذه الأيام الثلاثة من البرد ، من الجوع والعطش و إلا لما كانت بحاجة لأن تكون، هذه الأيام الثلاثة هي حاجتي الفعلية... لا أعلم عنكم شيئاً لكن شكري عديم الشروط، لا أشكر الله لأنه يحسن معاملتي؛ لا أسباب لشكري لأنه فرحي و سعادتي وخشوعي للوجود... لا ، لا أملك خياراً . »

الوعي غير المخير يعني بأن كل ما يحدث هو الشيء الصحيح الذي يجب أن يحدث، ثم علينا عدم إصدار الأحكام بهذا الخصوص، لا يعني التوقف عن أداء شيء بل يتوجب علينا متابعة الحياة بكل بساطة كمن يطفو على سطح مياه النهر و ليس كمن يسبح في عرض النهر أو بعكس تياره .

يأتي الجهد عندما يسبح أحدنا بعكس التيار... يريد منك الوجود أن تتجه شمالاً و إذ بك تتجه نحو الجنوب و عندها يأتي الصراع؛ يتوجب عليك عندها بذل الجهد و مع بذل الجهد يأتي وجودك المشتت كغرور... و لكن إذا أنت أبحرت مع التيار كما يشاء و دون أهداف، لأن إنساناً بأهداف لا يمكنه أن يكون عفوياً؛ دون تحديد أي وجهة أو قدر لأن إنساناً بوجهة و قدر لا يمكنه أن يستريح و لا يمكنه أن يكون عفوياً فقد اختار .

حدث أن كان في اليابان معبدان متجاوران و قد اعتاد كل منهما مناقضة الآخر... لم يتوقف صراع المعبدين لقرون عدة..

كان في كل منهما كاهن كبير و طفل صغير لتلبية حاجات المعبد الصغيرة... أخبر كل كاهن طفله بألا يتحدث مع طفل المعبد الآخر لأن العداوة بينهما تاريخية... لكن الأطفال أطفال و يريد كل منهما أن يلعب مع الآخر، و خاصة في تلك الغابة المعزولة بعيداً جداً عن أقرب

القرى و هما الشخصان الوحيدان الذي يمكن لكل منهما التواصل مع الآخر .

في أحد الأيام تحدى أحد الطفلين سيده و وقف على جانب الطريق، فهو يعلم بأنه وقت خروج الطفل الثاني من معبده لإحضار الخضار و حاجات أخرى من السوق ... قدم الغلام فسأله الطفل الأول بمودة و صداقة « أين أنت ذاهب ؟ » فأجاب « إلى حيث تأخذني الريح . »

لم يكن الجواب بمثل مودة و محبة السؤال و لم يكن مناسباً لمن يوافق على الدخول في حوار... أجاب الطفل بهذه الكلمات و مضى في طريقه، استاء السائل و تأكد الآن بأن معلمه على حق و بأن هؤلاء الأناس حمقى... تسألهم سؤالاً بسيطاً فيجيبوك بألغاز !!

عاد الطفل إلى المعبد و قال للكاهن « اعذرني يا سيدي فقد خالفتك و تلقيت عقابي للتو . »

استمع الرجل لكلام الطفل و قال « لا تقلق ... انتظره في الغد و اسأله السؤال نفسه و عندما يجيبك بقوله إلى حيث

تأخذني الريح فاسأله « و إذا لم تهب الريح، عليك أن تضع له حداً؛ عليك أن تهزمه فالمسألة ليست بهذه البساطة. »

في الصباح كان الطفل مستعداً فقد تدرب جيداً على ما سيقول... اقترب الطفل الثاني فسأله « أين تذهب ؟ » لكنه أجاب « إلى حيث تقودني قدماي. »

هكذا كثير للغاية فقد تدرب على جوابه طويلاً و يراه الآن جواباً عديم الفائدة، عاد إلى المعبد و بغضب شديد قال « إنهم مخادعون بالفعل و لا يمكن الاعتماد عليهم، فقد غيروا إجابتهم !! »

فقال المعلم « أخبرتك بهذا من قبل لكنك بدأت جدالاً عديم الحاجة أو الفائدة... انتظره في الغد، و عندما يقول إلى حيث تقودني قدماي فاسأله « و إن لم تكن لك قدمان».»

مستعداً بإجابته سأل الطفل في اليوم التالي « أين أنت ذاهب » فأجاب الطفل الثاني « إحضار الخضروات و بعض الأشياء من السوق . »

ما العمل الآن مع مخادعين كهؤلاء ؟!

عندما تلتزم خطة فكرية محكمة يكون احتمال إصابتك بخيبة أمل مع الوجود احتمالاً لا يقبل الشك .

إن في المقولة الشائعة « الإنسان في الإعداد و اللّه في التقدير» بعض الصحة و لكن ليس اللّه من يقدر لك وعليك بل أنت من يقدر كل شيء من خلال ما تعد .

لا تخطط و لا توجد إمكانية لأن يقدر لك أحد؛ لا تتخذ أهدافاً و لا يمكنك أن تفشل... لا تحدد وجهة و لا يمكنك أن تظل السبيل .

و لكن لنفهم هذا جيداً و ببساطة علينا أن نواصل طوفاننا مع تيار النهر و علينا ألا نبالي سواءً أذهب بنا إلى أي مكان أم لم يذهب... فلنستمتع باللحظة؛ فلنحيا اللحظة {الحالية} فلنحيا اللحظة مع الشمس المشرقة و مع الطيور المغردة و مع الأشجار حول النهر... إنها كافية مكتفية بذاتها .

و لكن وقعت إنسانيتنا بفاجعة و معضلة تسبب بها من ندعوهم مؤسسين للأديان؛ من ندعوهم قادة أخلاقيين؛ من ندعوهم سياسيين و من ندعوهم كهنة و علماء دين و دنيا لأنهم من قال و لقرون بأن الإنسان كما هو يبقى منقوص النبالة و الكفاءة... يمكن إيجاز تعاليم هؤلاء بأنه عليك أن تكون شيئاً ذا قيمة؛ عليك أن تستحق الاحترام و عليك امتلاك هالة من المظاهر، أما كما أنت فلا تعادل شيئاً... و لهم في ذلك حقوق ملكية يسمونها فكرية... لا يكف الأخلاقيون عن القول بأنك كائن أخلاقي مولود مع الخطيئة و الاثم و بذلك اختلقوا هالة نفسانية للذنب والخطيئة... إنها طريقة لا أكثر.

في اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان شعوره بالذنب يصبح معتلاً فاقداً لبهائه؛ فاقداً لفرديته و شجاعته، و يبدأ بالبحث عمن يقوده و عمن يرشده و بالتالي سيحكم على كل ما يفعله بالخطأ لأنه الآن فاقد للشجاعة .

يحيا القادة من خلال تدميرنا ، فهم قادة لأننا بحاجة لمن يقودنا؛ هم قادة لأننا غير قادرين على النظر لأنفسنا بأننا أناس يمكنهم الوقوف على أقدامهم و لأننا غير قادرين على أن نعلن للعالم « أنا وحيد و أنا على صواب كما أنا ، هذه هي الطريقة التي خلقني بها الوجود ... »

يحتاج العالم ثورة عظيمة يعلن فيها كل فرد فرديته ... لكننا نعلن انتماءنا لدين فنفقد تلك الفردية؛ نعلن انتماءنا لدولة فنفقد فرديتنا و نعلن بأننا أجزاء من إيديولوجيات محددة فندفع بأنفسنا إلى أحوال مأساوية يصعب معها العثور على الطريق، فكل ما سنجنيه من ذلك هو المضي أبعد و أبعد ثم أعمق و أعمق في الضياع و الفوضى، لأن جميع هؤلاء يشبعون رغباتهم بالعظمة عن طريق جعلنا صغاراً .

كان أحد الملوك يستمتع بجمع عباقرة دولته في بلاطه ليسألهم سؤالاً ثم يستمع لأجوبتهم... كان سؤال الملك في أحد الأيام غريباً ، فقد دخل البلاط و رسم على لوح أسود

خطاً مستقيماً و قال « أيمكنكم جعل هذا الخط أصغر دون لمسه، و بانتظاركم جائزة ثمينة...» كان بيده ألماسة رائعة كهدية .

بدأ الجميع التفكير فكيف يمكن جعل الخط أصغر دون لمسه ؟

لم يقف أحد من الحاضرين في البلاط ليجيب إلا أحدهم وكان يتمتع بروح الدعابة و المرح حيث اقترب من اللوح ورسم تحت الخط القديم خطاً أكبر منه فغدا أصغر دون أن يلمس .

كان الملك قد ذكر هذه الحادثة في سيرته الذاتية حيث كتب « رغم أنني لم أفكر بهذا اللغز الذي وجدته في كتاب مدرسي لطفل صغير إلا أنني وجدته أمراً عظيماً، ولم أستطع بنفسي معرفة كيفية جعل الخط أصغر دون لمسه. »

تخبئ هذه القصة رغم بساطتها شقاء الإنسانية كاملاً، فقد جعلونا صغاراً دون أن يلمسونا .

سمعنا العديد من القصص العظيمة المختلقة عن المعلمين ومنها التي تقول بأن المهافير لم يكن يتعرق أبداً، هذا ممكن بالطبع إذا كان للمهافير جسد بلاستيكي لا جلد عليه، و نعلم جميعاً بأن البلاستك لم يكن موجوداً منذ خمسة و عشرين قرناً... و لكن لم تختلق قصص كهذه ؟ لا لشيء سوى لجعلنا صغاراً، فنحن مخلوقات عادية و من الطبيعي أن نتعرق أما المهافير و غيره من المعلمين فهم أهل الأبدية و لا يجوز أن يتعرقوا !!!

و هكذا تتعدد القصص و الروايات و جميعها لا تظهر إلا جهة واحدة و هي أن المعلم قمة في كل شيء، و الدافع لذلك هو إقناعنا بأنهم ينتسبون لفئة أعلى من فئتنا في الخلق ... و ما هو هدفهم المعلن ؟ كما يقولون فقد جاؤوا كمخلصين و محررين للبشرية.

و لكن على ما يبدو فإن البشرية لم تتحرر من شيء؛ أين هي الإنسانية التي تم إنقاذها و تحريرها ؟ لا نراها في أي

مكان، هل صادفتها ؟... إن كل الأحاديث عن إنقاذها لم تتجاوز حتى الآن حد الادعاء .

كان أوشو مرة يجلس على ضفة الغانج فرأى رجلاً يقفز في الماء، كانا وحيد و الظلام يوشك على الهبوط... لم يعلم أوشو بالطبع الدافع وراء هذا العمل لأنه لم يكن يعنيه في البداية، و لكن ما هي إلا لحظات حتى بدأ الرجل بالصراخ طالباً المساعدة و النجدة... لم يكن هناك وقت للتساؤل عن الدوافع، أسرع أوشو و سحب الرجل من الماء لكنه فوجئ بعدم تقبله للمساعدة فبدأ بمشاجرة و مقاومة منقذه .

سحب الرجل من الماء لكنه قال « أي نوع من الرجال أنت ؟ كنت أحاول الانتحار. »

فسأله « ما دمت كذلك فلم طلبت المساعدة ؟ »

فأجاب « إنها طبيعة الإنسان، قررت الانتحار لكن برودة الماء... أدركت أنني لا أجيد السباحة و نسيت كل شيء عن كل شيء دفعني للانتحار. »

فقال أوشو « لا مشكلة في الأمر » فسأله «و ماذا تقصد ؟»

لم يقل شيئاً لكنه عاد و دفعه إلى النهر .

بدأ الرجل بالصراخ ثانية، فقال أوشو « الآن لا، الشأن الآن شأنك أما أنا فقد وقعت في الفخ أول مرة باعتقادي أنه يمكن مساعدة من يريد الانتحار، أما الآن فقد فهمت كل شيء. »

حاول الرجل الخروج المرة تلو الأخرى وقال « من فضلك ساعدني، لا أريد الانتحار. »

فأجاب « و أنا لا أريد النزول إلى الماء البارد ثانية، أنا سعيد حيث أنا و عليك أن تسعد حيث أنت .»

يرغمك جميع هؤلاء في البداية على أن تكون شريراً، قاسياً و سيئاً ثم تراهم مستعدين لإنقاذك !!

يتفق جميع هؤلاء على اختلاف فلسفاتهم على أن يثبتوا لك بأنك تافه حقير مبتذل و لا تستحق شيئاً... لا يمكن أن تستعبد الإنسانية ما لم تجبرها على الدخول في حالة من الشعور العميق بالإثم، و ذلك ممكن عن طريق السياسين؛

عن طريق الكهنة و المعلمين... تختلف الوجوه لكن الأسلوب واحد مشترك .

علينا الثورة على كامل التاريخ الإنساني؛ علينا الثورة ضد كل من يحاول العمل على إنقاذنا فقد نجونا و لسنا بحاجة لأية جهود إضافية من أحد ، فنحن بأحسن حالة يريدها لنا الوجود... في هذه اللحظة و في هذا المكان نحن الأفضل ونحن في أفضل حالاتنا و لا يمكن لآخر الحلول مكاننا... هذا هو بهاء إنسانية الإنسان .

فلننسى كل شيء عن التطور الروحي؛ فلننسى كل شيء عن الأهداف الروحية فلا أهداف للوجود... ما الوجود إلا مرح عظيم من الطاقة و لا يسعى لبلوغ شيء .

استمتع بالرقص و كن جزءً منه، و عندها تمكر عليك وروداً من فرح غامر .

لست بحاجة ليقودك أحد و لست بحاجة لينقذك أحد ، فجميع هؤلاء أنانيون و لكن أذكياء، حكموا العالم ومازالوا يفعلون و ها نحن نرى النتائج... البؤس في كل

مكان من حياتنا، نحيا في الحياة لأننا لا نملك عملاً آخر { كما نقول في العامية « نحيا من قلة الموت »}نحيا و نعلم يقيناً بأن منهانا إلى القبر... نحلم، نأمل و نتخيل أما نحيا بحق فلا .

الحياة الآن و هنا و هي دائماً الآن و هنا... لا توجد جنة سوى أن تغمر نفسك في الحياة بكامل أبعادها و ألوانها... لا يوجد سوى ذلك الرقص العذب .

نعمل و باستمرار على تغيير أوهامنا... يتوهم أحدنا في الشباب بأن الحب و الجنس هو من سيدخله عالم الأسرار، و تفتح في الحقيقة مع أشياء كهذه أبواب كلها مآسي {مالم نفهمها عن طريق اختبار عميق بالطبع} ، و يسعى آخرون وراء جمع مال أكثر .

سئل هنري فورد مرة « أنت صاحب الدخل الأعلى في العالم {في عصره} فماذا تشعر ؟ » فأجاب « أشعر بكآبة وإحباط تام فلا شيء في القمة، لم أتعلم بحياتي سوى

تسلق السلالم ظناً مني بأن الإشباع قادم مع الدرجة التالية، لكنه لم يأت أبداً. »

عندما يصل أحدنا إلى طريق مغلقة مع الأوهام، مع الآمال والأحلام الأرضية يبدأ بالبحث عن التطور الروحي، يبدأ بالبحث عن الله و عن الجنة... و بهذا لم يتغير الإنسان و لم تتغير أوهامه، بقي على حاله و لم يتعلم شيئاً .

ما لم نتحرر تماماً؛ مالم ننبذ التفكير بالغد مطلقاً لا يمكننا التعرف على الحقيقة الخالصة للوجود و الموجودة في اللحظة الحالية... لا يمكنك التناغم مع الوجود إلا بهذه الطريقة .آن أوان التحرر الكامل؛ آن أوان التحرر من الأوهام الأرضية وغير الأرضية؛ آن أوان التحرر من الحب ومن المال و من الاستثارة... كن ببساطة كما أنت... ها أنت قد وصلت إلى البيت...

لم تغادره في الحقيقة!

كنت و لا زلت هنا!

لكنك عدت إلى رشدك .

على الخط الفاصل

عندما يسترخي مريد الحكمة في سريره و يفاجأ بأن هناك كلاماً و لا يوجد متحدث؛ عندما يضع بحسبانه أن المراقِب و المراقَب هما واحد جرياً على شرح بعض المعلمين؛ عندما يلاحظ انعدام المكان من حوله و انعدام الغرفة؛ عندما يدرك بأن إشراق الظواهر الروحية داخله لم يعد بحاجة لمفكر و إنما لوعي فقط... أيجب عليه أن يخلد للنوم أم عليه القفز خارج السرير ؟... عندما يرى الحكمة و كأنها همس أو نسيم عليل... عندما يرى و يتساءل عن الصفة غير التمثيلية أو غير الدرامية للحكمة الحقيقية... فهل حصل على اللاشيئية ؟ هل هو محق ؟ أم أنه لا زال على الخط الفاصل ؟

عندما لا يكون هناك مراقِب فلا يوجد مراقَب ليراقَب، يختفي كلاهما معاً كما يختفي العلم باختفاء الباحث ولا يبقى سوى الصمت .

قد يكون في الموضوع بعض التعقيد بسبب الطبيعة الثنائية للفكر، حيث نراه مستمتعاً معها على الدوام... عارف ومعروف ؛ شاهد و مشهود... و هكذا يأتي ثالث مع كل اثنين، فمع العارف و المعروف تأتي المعرفة، و مع المراقِب والمراقَب تأتي المراقبة و لا مفر من ذلك... و هكذا نستمر باختلاق سلاسل غير منتهية .

يعني الصمت انعدام المراقِب و المراقَب معاً فلا يبقى ما نتحدث عنه، و عندما نتحدث نكون قد كذبنا .

هذا أحد الأسباب التي دفعت المعلم (Lao Tzu) لي تسو لعدم قول أو كتابة أي شيء عن الحقيقة... كان للي تسو مجموعة من مريدين عظماء لكن فيها شيء من الغرابة، جاء كل تلميذ ليصغي، ليفهم و يتعلم لكن المعلم بقي مصراً طوال حياته على ألا يقول أو يكتب شيئاً عن

الحقيقة، كان مستعداً للحديث عن أي شيء آخر لكن الناس جميعاً تريد أن تعلم و لو شيئاً عن الحقيقة .

و أخيراً جاء الوقت المناسب لسفر لي تسو إلى الهملايا لينعم بالسلام الأبدي في تلك الجبال الرائعة، لكن الملك الصيني في ذلك الوقت كان شغوفاً بما يخبئ هذا الرجل و لا يريد الإفصاح عنه، لم يعطي و لو لمحة واحدة عن معنى الحقيقة... أمر الملك بإغلاق جميع الحدود أمام لي تسو وبعدم السماح له بالمغادرة مالم يكتب شيئاً عن الحقيقة .

اعترض الجنود طريق الحكيم أثناء محاولته اجتياز الحدود الصينية نحو الهملايا... لم يكن الملك عدواً بل مريداً لذلك تم إيقاف الرجل بمحبة و احترام عظيمين .

كان الملك موجوداً عند الحدود فقد علم بأنه الطريق الذي سيسلكه لي تسو للعبور نحو ما يريد... أعد منزل مناسب للإقامة حتى يتمكن من الاستراحة و كتابة اختباراته عن الحقيقة، و بالطبع لن يسمح له بالمغادرة ما لم يفعل ذلك .

قد يكون تسو هو المعلم الوحيد الذي واجه حادثة بهذه الغرابة فالأسلحة مشهرة في وجهه بأيدي تلاميذه ومريديه... يمكننا أن نتخيل حالة المريد الذي يريد التعرف على أهم اختبار عن الحقيقة و المحافظة عليه للأجيال القادمة... اعتزل المعلم في منزله المعد و كتب مكرهاً كتاباً صغيراً بدأه بالجملة التالية « لا يمكن لكل ما يمكن أن يقال أن يكون حقيقياً و محكوم بالكذب على كل ما تمكن كتابته، تذكر هاتين القاعدتين و أنت تقرأ كتابي هذا.» لم تتمكن أسلحة الملك من إجبار المعلم على قول ما لا يمكن أن يقال... قرأ الملك الكتاب ثم أطلق سراح الحكيم الذي تمكن أخيراً من إقناع التلاميذ برأيه .

عندما ندرك بأن الحقيقة التي يمكن أن تقال تفقد حقيقتها فأي معنى يتبقى لقراءة كتاب لي تسو، لكنه أكمل و كتبه .

ما هي الصعوبة التي واجهت هذا المعلم ؟ كلما تحدث أحد المعلمين عن الحقيقة ظن أتباعه بأنهم وحدهم القادرون على الحديث عنها ، لأنهم في الحقيقة لا يعلمون عنها شيئاً.

لا تظهر الحقيقة إلا عندما تختفي الثنائية و يبقى الصمت.

قال أحد المعلمين عندما يختفي الاثنان يبقى الواحد فقط، و هذا مخالف لجميع اختبارات الصوفيين في العالم فعندما يبقى الواحد فلا بد من وجود الآخر في ركن مجاور... لا يمكنك أن تتخيل معنى الواحد دون أن تكون لديك فكرة و لو بسيطة عن الثنائية و عن الاثنين .

تحدث صوفي هندي و يدعى شانكارا Shankara عن نفس الموضوع بطريقة لا تحدث اختلافاً كبيراً لكنها قد تكون أفضل حيث يقول « تختفي الثنائية و تبقى اللاثنائية» لم يقل يبقى الواحد لأن هذا الأخير يذكر بالاثنين، بل عكست العملية و لم تعد هناك ثنائية تذكر بالواحد... و الاختلاف هنا أن الإشارة للواحد غير مباشرة .

ربما يكون بوذا هو الأقرب في قول ما لا يمكن قوله {ربما يكون الأقرب لكنه لم يقله } حيث أنكر بدلاً من أن يثبت... لا المراقِب موجود و لا المراقَب... تمكن بإنكاره هذا من النجاة من استدعاء الواحد و بقي صامتاً حول ما يتبقى... صمت مطلق و لا يوجد من يختبره أو من يتحدث عنه.

الصمت هو أفضل ما يوصف به ما يتبقى...

دعه يكن...

لا تحاول أن تصفه، يعاني الفكر من جرب عميق حيث يريد وصف كل شيء، و لا يتسنى له التحرر من ذلك الجرب حتى يتحقق له ما يريد بوصف الأشياء ...

عندما يبلغ كل شيء ذروته؛ عندما نبلغ اللاشيئية فمن الذي سيختبر ومن الذي سيراقِب و ما هو المراقب؟ لقد اتحدت معه كما اتحد معه المراقَب .

إنه أمر غير قابل للكلام و سيبقى غير قابل للكلام، ومهما اقتربت منه ستبقى بعيداً .

على الحكيم تجنب الحديث عنه و تجنب ذكره... إنه اختبار و لا يوجد مختبِر .

لا يوجد في حياتنا العادية ما يمكن مقارنته باختبار كهذا ، و هذا هو سبب تلك الصعوبة؛ هذا ما جعل أي لمحة أو إشارة تسمح بتجريب كل الطرق الممكنة :

« إنه واحد. »

« إنه ليس اثنين. »

« لا هذا و لا ذاك. »

تبقى حالة وحيدة : لا أنت مراقِب و لا يوجد مراقَب، اتساع محيطي عذب؛ صمت مطلق لا يمكن النزول به إلى مستوى اللغات بأي حال من الأحوال .

لكن الفكر ماكر و مخادع و يصعب علينا استيعاب متاهاته و دائماً ما يأتي من الباب الخلفي... عندما يسترخي المريد فهذا يعني أنه يهم بالنوم و هذا معناه أنه صاح، وكل صاح موجود و يختبر بأنه صاح فهو مراقِب إذاً و لا بد من مراقَب و ها هي الثنائية قد صمدت .

و عندما يفاجأ بأن هناك كلاماً فقط، لا زالت الثنائية موجودة، فمن الذي أدرك الكلام ؟ لا زال المستمع موجوداً يصغي إلى الكلام لكنه ظن بأن هناك كلاماً فقط لأنه يصغي فقط، لكن لا وجود للكلام دون وجود مستمع، دعنا نوضح هذا بعض الشيء .

عندما تغادر غرفتك و تتركها فارغة، تغلق الباب وتمضي، أتعتقد أن الملابس في الداخل ستبقى محتفظة بألوانها ؟ أتعتقد أن الأبيض يبقى أبيضاً و بأن الأزرق يبقى أزرقاً ؟

لا يا صديقي : تنعدم الألوان عند مغادرتك للغرفة و بقاء الغرفة فارغة، فلا بد من وجود العين ليتمكن اللون من الوجود، فمن الذي سيرى اللون في غرفة فارغة...؟ تختفي جميع الألوان عند مغادرة الغرفة و تعود لمجرد النظر من ثقب الباب !! قد يبدو الأمر غريباً لكن الحياة بكاملها هكذا .

عندما تقف و تنظر إلى الشمس ترى نوراً و جمالاً أخاذاً، ولكن إذا أغمضت عينيك فهل سيبقى لديك ما يدعى نور الشمس، هل ستقوى الشمس عندها بالنسبة لك على توليد الألوان؟ بالطبع لا فمن أين لك الألوان وعيناك مغمضتان؟!!

لا يعد هذا السؤال جديداً بل ناقشه فلاسفة الهند منذ خمسة آلاف عام و لا زال مستمراً حتى اليوم، فقد أكد فيلسوف بريطاني يدعى Bradly و زميل له يدعى Bosanquet بأن الصوت ينعدم بالنسبة لإنسان أصم وإذا حصل و أصيب جميع المخلوقات بالصمم فسيختفي الصوت من الوجود، و بالمثل إذا أصيب الناس بالعمى فستختفي الألوان من العالم و سيختفي قوس قزح و تختفي النجوم...

قد يبدو هذا غير منطقي فالورود موجودة و لها وجودها المستقل، لا إنه ليس كذلك... في الحقيقة إذا انعدمت جميع الحواس الخارجية لجميع المخلوقات في لحظة واحدة سينعدم كل شيء ما عدا قوة الجاذبية و بعد ذلك لا أعلم!

قادت هذه التجربة في النهاية إلى استنتاج مفاده بأنك عندما ترى الشيء أحمراً تكون له في الحقيقة جميع الألوان عدا الأحمر... عندما تسقط أشعة الشمس على الوردة مثلاً فإنها تمتص ألواناً معينة من الطيف، فإذا امتصت الألوان السبعة كان لونها أسوداً {لا أدري إن كان هناك ورود سوداء بالفعل } و لكن إذا مانعت تلك الوردة امتصاص اللون الأحمر فقط فسينعكس عنها و ستبدو في النهاية حمراء... الأحمر في هذه الحالة إذاً هو اللون المنبوذ من ألوان الطيف و الذي يصل إلى عيوننا، أما عندما تنعكس الألوان السبعة جميعها فستبدو الوردة بيضاء .

ليست مصادفة و لم يأت من فراغ اعتبار اللون الأبيض في جميع الأعراف التقليدية رمزاً للبراءة و النقاء، أما السبب فلم يعرف إلا مؤخراً أما المهم فهو رمز النقاء... كما مثلت جميع الأديان الشيطان باللون الأسود، إنها رموز ليس إلا فالشيطان رمز للطمع و الجشع حيث يستمر بامتصاص الأشياء دون توقف و لا يرفض منها شيئاً، أما الأبيض

فبالعكس تماماً لا يجمع شيئاً و يعيد كل الأشياء لمصادرها... الشيطان شحاذ لذلك رمز بالأسود أما الأبيض غاية في البراءة و النقاء .

عندما يفاجأ الحكيم بوجود كلام فقط ينسى كل شيء عن المستمع، ينسى و يركز على الاستماع؛ ينسى أنه مستمع و هذه هي مخادعة الفكر حيث يعمل على إيهامك بوجود واحد رغم أنهما اثنين... لا يوجد متحدث لكن يوجد مستمع .

ما دام هناك اثنين فلا بد من ثالث، و لكن يقع وهم في مثل هذه الحالات حيث يتواصل الكلام دون متكلم، ولكن من هو ذلك الصاحي الذي يستمع للكلام ويدركه؟ لا زالت الثنائية هنا.

إذا أردنا التسليم بمقولة أن المراقِب و المراقَب هما واحد فمن الذي يصوغ هذا القرار ؟ و من الذي يدركه ؟ من الشاهد، ألسنا بحاجة وراء هذا الواحد ليراه ؟ عدنا من جديد إلى المغالطة نفسها .

عندما يلاحظ المريد أو الحكيم بأن غرفته قد تلاشت من حوله أي أن المكان قد انعدم ... فأين هو إذاً ؟

ماذا يعني قولنا بأننا نسكن غرفة ؟ يعني و بكل بساطة أن هناك فراغاً أو مساحة لنا... و عندما نتخلص من كل أصناف الأثاث التي تملؤها تصبح الغرفة أوسع، و يمكن التعبير عن هذا بقولنا أن المساحة قد اتسعت أو بأن المكان قد اتسع، و عدنا من جديد إلى مسألة الوجود... فعند ملاحظة انعدام المكان يكون الحكيم موجوداً و هذا الوجود بحاجة لفراغ يشغله.

ذلك الفراغ الذي تشغله هو غرفتك... ربما يكون لتلك الغرفة جدران و ربما لا يكون، ربما تتخذ السماء كاملة غرفة لك و لا يغير هذا شيئاً... ما دمت موجوداً فأنت محاط بالمكان من حولك و لا تستطيع الوجود دونه، تلك هي غرفتك الحقيقية.

أنت من يختلق غرفته؛ أنت من يختلق المكان من حوله فعندما تتواجد يتواجد كل شيء حولك... تمتد غرفتك

حيث يمكنك أن ترى و لا يتلاشى إلا كلاكما معاً و لن يتبقى أحد ليقول « تلاشت الغرفة... تلاشيت أنا » يجب ألا يكون هناك أحد ليقول شيئاً .

لا توجد غرفة، لا توجد أنت؛ لا مراقَب و لا مراقِب... صمت تام عذب لا تشوبه أية موجة .

يردد الصوفيون قصة مشهورة عن الملا نصر الدين الذي اعتاد التفاخر في مقهى البلدة بأنه رجل كريم و طيب القلب... سئم الناس هذا الادعاء و قالوا له مرة « استمعنا إلى هذا مراراً و تكراراً لكننا لم نرى و لو إشارة فعلية تدل على صدقه و تثبت بأنك كريم و طيب القلب . »

فقال « لا بأس، جميعكم مدعوون إلى منزلي لتناول العشاء هذا اليوم... اتبعوني فقط...» كانوا حشداً من مئة رجل .

كان هذا في حرارة الحديث لكنه أدرك ما فعل عندما بدأ يقترب من البيت... كانت زوجته قد أرسلته في الصباح لإحضار بعض الخضار من السوق لكنه أمضى يومه

يتسكع هنا و هناك دون أن يعود إلى المنزل، و يعلم كغيره من الأزواج أنه لا وجود إلا لنوع واحد منهم و هو « المحكوم من زوجته» و يعلم أيضاً أنه لا يوجد في المنزل طعام للأشخاص المئة الذين دعاهم، هدأ من انفعاله ثم تباطأ وقال « اسمعوا يا رجال: جميعكم أزواج و تعلمون الحقيقة و لا حاجة لأشرح لكم عنها شيئاً، انتظروا من فضلكم في الخارج فعلي الدخول لإخبار زوجتي بأنني دعوت مئة رجل للعشاء دون أن أخبرها. »

لم يجد الرجال صعوبة بتفهم الأمر فهم أزواج و يقدرون حالة الملا نصر الدين .

انتظر الضيوف في الخارج بينما دخل الملا إلى البيت و أغلق وراءه الباب... كانت الزوجة غاضبة فقد انتظرت طوال النهار جائعة فلا يوجد في المنزل ما يؤكل، فقال الزوج «هذا في الأولوية الثانية الآن، أما مشكلتي فأصعب وعليك مساعدتي » فسألت عن الأمر فأجاب :

« دعوت في حرارة الحديث مئة رجل للعشاء و هم ينتظرون الآن في الخارج » فقالت « إلهي !! أجننت يا رجل !! لا يوجد في المنزل ما يطعم اثنين منا... ماذا تريدني أن أفعل ؟ » فقال «عليك ببساطة أن تخرجي و تسأليهم لم يقفون في الخارج، و من الطبيعي أن يجيبوا « دعانا الملا نصر الدين للعشاء » فتقولين « لا بد أن هناك خطأ فالملا في الخارج و لم أره منذ الصباح ... أين رأيتموه.»

شعرت المرأة بالدهشة و القلق فزوجها يقف في الداخل ولكن لم يكن أمامها خيار آخر، خرجت إلى الباب وبالكاد فتحته و قالت « ما هذا الحشد ؟ و لم أنتم هنا ؟» فقالوا « نحن لسنا حشداً و إنما أصدقاء زوجك الملا نصر الدين و قد دعانا للعشاء » فقالت « لا بد و أنكم مخطئون، خرج الملا في الصباح و لم يعد . »

فقالوا « لا توجد أخطاء فهناك مئة من الشهود، دُعينا للعشاء و قد أتى معنا منذ لحظات و دخل في هذا الباب ! »

بدا موقف الزوجة ضعيفاً الآن فزوجها في الداخل و يسمع كل شيء أيضاً ، صعد الدرج و قال من النافذة « استمعوا أيها الحمقى : ألا يمكن أن يكون قد دخل من الباب أمامكم و خرج من الباب الخلفي... ألا تخجلون من الجدال مع امرأة مسكينة ؟ »

استخدم الصوفيون هذه القصة لقرون طويلة... إنها قصص جميلة و مليئة بالمعاني رغم بساطتها .

كيف يمكن لأحدنا أن يقول « شعرت بانعدام المكان أو الغرفة» ؟ هذا غير ممكن وعلينا تفهم حالة الملا نصر الدين جيداً حيث أنكر تواجده في المنزل و وحده هذا الإنكار ما أثبت وجوده في الداخل... لا تستطيع القول « أنا لست أنا » فمن الذي يتحدث إذاً ؟ فعندما تقول ذلك تثبت أنك أنت ، أي تثبت عكس ما تقول .

لنتابع مناقشة سؤالنا ...

عندما يقول المريد أو الحكيم « أدركت بأنه لا ضرورة أو حاجة لمفكر...» فمن الذي يفكر و يقرر هذه اللاأهمية

لوجود المفكر ؟ إنها فكرة ليس إلا فالأهمية و عدمها أفكار .

لا حاجة لمفكر بل للوعي فقط لإشراق الظواهر الروحية... عاد السائل من جديد إلى الفكر بقوله « وعي فقط » أما في قوله « إشراق الظواهر الروحية » عاد إلى المغالطة نفسها فهو مراقِب و المظاهر الروحية مراقَب... عاد الفكر من جديد ليقول بأنه لا حاجة للتفكير و هو التفكير عينه... عليك التحرر من الآخر و إلا سيلاحقك كظلك.

قد نكون غافلين عنه؛ قد لا نراه أو لا ندركه و لكن للفكر طرقه الخادعة الماكرة، و هذا ما قادنا لهذه المناقشة المعقدة و التي لا بد أن تواجهنا جميعاً عاجلاً أم آجلاً .

قدم رجل إلى أوشو و قال « لقد اختبرت الفرح الغامر ! » إنها مخادعة الفكر من جديد فإما أن يكون «هو» أو أن يكون «الفرح الغامر» أما كلاهما فمستحيل... عندما يكون هناك فرح فلا يوجد من ينقله.

يدعى أعظم تلاميذ لي تسو، تشانغ تسو Chuang Tzu...
كان تشانغ تسو في رحلته الروحية و كان دائم التحدث عن اختباراته {كما يفعل الكثيرون منا عن جهل واستكبار غير متعمد}حيث كان يردد و يكرر « إشراق مظاهر روحية، اختبار النور في الداخل و تفتح الورود و غير ذلك من الكلمات التي يصفها المعلمون بأنها جميلة لكن 99.99% منا نفعل مثله » لكن المعلم لم يعر ذلك أي اهتمام و كل ما كان يحصل عليه التلميذ منه هو « لا تضيع وقتي ... اذهب و ابدأ التأمل من جديد. »
كان تشانغ تسو قد اعتاد القدوم يومياً إلى معلمه في الصباح الباكر لكن هذا لم يحدث في صباح أحد الأيام... اقترب الغروب و لم يأت التلميذ، فتساءل المعلم « أين تشانغ تسو ؟ » فأجابوا » يجلس تحت الشجرة، لا زال هناك منذ الصباح »
فقال المعلم « سأذهب لأرى ما حصل، لا بد و أن شيئاً قد حدث للمرة الأولى. »

ذهب إلى حيث يجلس تلميذه، هز بيده جسده و قال « أها ! لا تتفوه بحرف، لم يعد الآن ضرورياً أن تأتي كل يوم وتقص علي كل تلك الحماقات. »

انحنى التلميذ على قدمي المعلم يبكي و قال « كم كان عطفك عظيماً! كم من الأعوام أمضيتها مسبباً لك القلق والإزعاج !! لكن عطفك كان عظيماً، لم تقل سوى اذهب و تأمل... لم تنكر علي شيئاً و تأتي اليوم لتقول «أها». »

لا يمكن قول أكثر من ذلك .

عندما يتلاشى المكان و الغرفة؛ عندما لا تكون هناك حاجة و ضرورة لمفكر بل «وعي فقط» فما حاجتنا لـ «فقط» عندما ندرك بلا وعينا أنه لا حاجة إلا لوعي فقط فلا داعي لاستخدام الكلمة بحد ذاتها، نعلم عندها تمام المعرفة أننا موجودون و نحمل مع تواجدنا هذا كل الأمتعة التي اختزناها في فكرنا .

النوم هنا هو الشيء الوحيد الصحيح و المفيد ، فإذا تكرر ظهور مثل تلك الأشياء الغبية مع المريد فأفضل ما عليه فعله هو الاستدارة و النوم لأنه أفضل بكثير من الأحلام والأوهام... إن اختبارات كهذه في حقيقتها أحلام وفقاعات ماء و صابون و لا تملك من الحقيقة شيئاً .

«تبدو الحكمة و كأنها نسيم عليل» لا يمكن أن تصف الحكمة تبدو و كأنها شيء بل هي «هي» و الفرق شاسع... أيمكنك أن تقول لأحدهم « على ما يبدو فأنا أحبك... أغلب الظن يبدو أنني أحبك » ؟ إما أن تحب أو لا تحب .

عدنا إلى الأحلام فتغيير الجهات لا يحدث الكثير من الاختلاف... يمكنك أن تحلم بهذه الجهة و يمكنك أن تحلم بالجهة الأخرى و هناك من يحلم و عيناه مفتوحتان يسير في الشارع ... الأحلام ممكنة في جميع الحالات .

«تبدو الحكمة كالهمس أو النسيم العليل »هذا لا يمكن أيضاً... لا يمكن إيجاد طريقة لوصفها ، و لا يمكنك

القول بأنه كالنسيم العليل فهذا خشن للغاية و لا يمكنك القول بأنها كالهمس لأنها صمت مطلق أما الهمس فضجيج مزعج .

لا يوجد بين اختباراتنا العادية المألوفة ما يمكن مقارنته بتفتح حكمتك و بصيرتك .

يفاجأ من توصل إلى تلك الحكمة بأنه قد تحول إلى الصمت المطلق لأنه لا يملك شيئاً عن طريقة شرحها ، فماذا سيقول عنها؟ و لمن سيقوله ؟ و من هو القادر على فهمه ؟

حصل بوذا على الاستنارة في ليلة اكتما فيها القمر و لم ينطق بكلمة واحدة مدة سبعة أيام متتالية بعدها... القصة جميلة و علينا استيعاب مختلف أبعادها لأنها تحمل لنا بعض المعاني و المضامين الجديدة... لم بقي بوذا صامتاً لسبعة أيام كاملة ؟

في البداية: غمره الاختبار و لم يعد بحاجة لفعل أو قول شيء حوله، فكل شيء قد تحقق... و ثانياً كان له خمسة مريدين و فكر « علي فعل شيء من أجل هؤلاء الخمسة

على الأقل، كنت جاهلاً و ادعيت بأني معلم... » هناك في العالم العديدون ممن يفعلون الشيء نفسه في العالم، فأن تكون معلماً أسهل بكثير من أن تكون مريداً فعلى المريد المرور بتحويل كهذا.

شعر بالعطف على هؤلاء الذين اتبعوه و لكن ما عساه يقول لهم ؟ و هل سيفهمون ؟ و قد علم يقيناً بأنه لو لم يشعر بنفسه بالفيض و الغمرة عند بدء الاختبار لما أمكن لأحد قول شيء له عنه، و كان سيضحك دون شك، و لا يريد لنفسه أن يصبح أضحوكة... لكنه يحب تلاميذه، ذلك الحب الذي يصبح أكثر أهمية و جوهرية كلما اقتربت من مركزيتك؛ يصبح أكثر أهمية كلما عرفت نفسك أكثر و كلما أصبحت ملازماً للوجود أكثر، يأتيك بكل بساطة و لا يمكن تعلمه بالكتب و المدارس بل إنه عفوي كعفوية تفتح الأشجار عند قدوم الربيع؛ عفوي كعفوية صحوتها في الصباح... إنه عفوي .

حاول و حاول لإيجاد طريقة ينقل بها هذا الاختبار لكن كل الكلمات كانت فارغة، وجد بأن كل الكلمات فاسدة مفسدة.

و هنا تزداد المشكلة تعقيداً، عليه أن يتكلم و مع الكلام سيضيع جزء من الحقيقة، و عنما سيسمع أحدهم الكلام سيسمعه ناقصاً و سيعيد تفسيره وفقاً لفهمه ووفقاً لانتماءاته .

كانت الأيام السبعة أيام عذاب و معاناة قرر في آخرها ألا يقول شيئاً .

«عرفتها الآن لكنني عاجز تماماً» لكن المسألة الآن مسألة وجود خمسة من الآلهة... لا يوجد في البوذية إله واحد بل هناك آلهة بعدد ما هناك موجودات حية في العالم، فعلى كل وجود حي { يعني الواحد منا } أن يشرق في النهاية و يتحول إلى إله... أما فكرة الإله في الأديان المألوفة لدينا و التي نسميها سماوية فهي فكرة ديكتاتورية و يمكن تشبيه الإله فيها و كأنه مصاص

دماء فما حاجته بنا إذا كان قد خلقنا و سيدخلنا ناره الأبدية ؟ و لو فرضنا بأننا أمضينا الأعوام الممنوحة لنا جميعها بما يسمى كفراً: هل يستحق كفر سبعين عاماً شوياً أبدياً ؟ فلنعد النظر بعقد نقصنا و بعصابيتنا، أما في البوذية فالفكرة ديمقراطية للغاية فلكل مخلوق الحق والإمكانية... المسألة لك و عليك شريطة أن تدركها، كما أنه لا حاجة للتسرع فالأبدية متوفرة و لكن لا ينبغي التأجيل فلا يعلم أحدنا مدى توفر فرص التقدم في الحيوات القادمة... أفضل الحلول أن نبدأ الآن .

خمسة من الآلهة أتت إليه و وصلت أمامه « تحدث، يحدث ولكن نادراً؛ يحدث مرة كل عدة ملايين من السنين أن يبلغ إنسان هذه الحالة من الفراغ؛ هذه الحالة من الفرح الغامر و من الحقيقة... الوجود بانتظارك الآن؛ ينتظر الوجود عطرك ليرتقي بوعي كل من هو مستعد للسير؛ بوعي كل من هو مستعد للتحول، و ها أنت تقرر ألا تتكلم !! قدمنا للصلاة أمامك فتحدث من فضلك. »

توجب على التلاميذ إطالة الجدال و النقاش مع المعلم الذي رفض جميع المحاولات لجعله يتحدث لكنهم شعروا بأنه على حق، لا يمكن أن يفهمه أحد بل على العكس سيسيء الجميع الفهم، و بدلاً من العمل على مساعدة الآخرين ستكون إمكانية رجمه بالحجارة حتى الموت هي الإمكانية الأوفر حظاً .

لكنهم كانوا مصممين، ذهبوا بتحفظ و احتراز إلى الغابة ليعدوا للمناقشة الأخيرة معه «سيكون كل ما يقوله صحيحاً و لا يمكننا إقناعه بقول شيء، فالحقيقة غير قابلة للكلام كما أنها غير قابلة للفهم من جهة و من جهة ثانية فهي تخالف فكرة العامة عنها مما سيخلق عداوة شرسة للرجل. »

لم يكن بوذا الأول أو الوحيد الذي تسببت له الحقيقة باختلاق أعداء... لا أدري إذا كان لأحد من الأعداء كما لأوشو منهم... فقد أصدرت خمس و عشرون دولة قرارات برلمانية تقضي بعدم السماح له بدخول أراضيها و تقضي

أيضاً بعدم السماح لطائرته بالهبوط في مطاراتها الدولية لإعادة التزود بالوقود... عملية لا تستغرق أكثر من ربع ساعة لن يغادر الرجل خلالها مقعده !!!

بالطبع فجميع أخلاقياتهم بخطر، تقاليدهم التي توارثوها منذ آلاف الأعوام في خطر و كنائسهم هي الأخرى في خطر... جلوس أجنبي عابر سبيل لا يحمل صفة رسمية أو حقيبة نووية في الطائرة لربع ساعة قد يعرض أجيالهم الحديثة للانحراف !! أيمكن لهذا أن يصدق ؟ أيمكن لغير الواثق من ضعفه و خطأه و خوفه من انفضاح أمره أن يفعل هذا ؟؟ إن كان لديك جواب فأجبني.{ إنها الأنفاس الأخيرة لمجرم محترف ضيقت الشرطة عليه الخناق و لم يعد يعي ماذا يفعل فالسجن قادم لا محالة }

حاول الخمسة ثانية، فكيف لهم استدراج بوذا و إقناعه؟ فالمناقشة على ما يبدو عقيمة و لن تقود إلى شيء... جاؤوا إليه أخيراً و قالوا « كل ما ستقوله لنا هو حقيقة، لكنا نريد خطوة واحدة إضافية، لن تفهمك ملايين من الناس

وهناك ملايين أخرى ستعارضك لأن حقائقك تنسف أكاذيبهم من البنيان، و هم يجدون في تلك الأكاذيب الراحة، العزاء و الأمل الوحيد... حقائقك خطيرة للغاية... واثقون بك و نريد و لو إشارة، يمكن أن يوجد من بين الملايين شخص واحد لا يمكنك إنكاره و هو واقف على الخط الفاصل و بحاجة لدفعة صغيرة، ألن تساعد إنساناً كهذا لتجاوز خطه الفاصل. »

هناك وافق بوذا و قال « ربما يوجد أحدهم في مكان ما ويقف على الحد الفاصل لكنه عالق بسبب خوفه من الذهاب إلى المجهول، حتى قبل أن يدركها دفعة صغيرة وستفتح أجنحته ليجد نفسه يحلق في ذلك المجهول... سأتحدث لآخر نفس في صدري... » لم يتوقف عن الكلام لاثنين و أربعين عاماً؛ كان باراً بوعده... عمل لا يصدق... أن تقف لأجل الحقيقة يعني أن تقف ضد تاريخ الإنسانية من ألفه إلى يائه؛ أن تقف لأجل الحقيقة يعني أن تواجه العالم وحيداً .

تلقى أوشو رسالة من رجل يعمل لمجلة أمريكية يسأل فيها «ما دمت تسعى لإنقاذ الإنسانية فلماذا تتحدث ضد المسيح؟»

من جهة أولى لم يذكر أوشو مرة بأنه يسعى لإنقاذ أحد بل على العكس هذا ما نفاه مراراً، أما معارضته للمسيح فجاءت للسبب نفسه و لأنه قال للناس « سأنقذكم » يا لها من جملة خطيرة ذات فعل تسميمي، ما عليك سوى الاسترخاء و الإيمان بالمسيح { ليس المسيح فقط بل في معظم الأديان } ثم لا خوف عليك فسيأتي لينقذك .

تقول المسيحية {و غيرها} سيقوم المسيح في يوم الحساب الأخير بفرز رعاياه و يقول لله « هؤلاء أتباعي » فيدخلون الجنة و على البقية دخول ظلمة الجحيم و البقاء هناك إلى الأبد... كائناً من كنت ، أتوافق على هذا ؟

على ما يبدو كان مرسل الرسالة مسيحي الهوى حتى أنه لم يدرك ماذا يسأل، هل يستطيع المسيح إنقاذ نفسه لينقذ غيره... خاب أمل الرجل في آخر لحظة على الصليب .

كانت المنطقة الجغرافية صغيرة جداً مما جعل الناس يصابون بالملل لكثرة تكرار الكلام نفسه « جئت لإنقاذكم » و قد عرفه الجميع شاباً لا علم له و لا معرفة كما أنه لم يتعلم شيئاً من النصوص المقدسة و لم يكن من الأحبار، بل كان يعمل مع يوسف في دكان النجارة وبدأ فجأة يقول بأنه ابن الله الوحيد، و من الطبيعي أن يتسبب سلوك كهذا بنوع من الضجر لبعض المحيطين... إذا كنت لا تريد من ينقذك فمن الطبيعي أن تنزعج إذا جاءك أحدهم يومياً و طرق الباب طالباً إنقاذك .

صلب المسيح و سُمم سقراط... سُمم سقراط لأنه يملك الحقيقة التي تجعل عزاء الناس و أوهامهم باطلاً، أما المسيح فبالعكس يعطي ذلك العزاء .

و لكن، من الذي اجتمع حول المسيح ؟ كانوا اثنا عشر رسولاً من الصيادين و المزارعين باستثناء خوداس، و لم يتمتعوا بعلم أو معرفة فمن الطبيعي أن يفكروا « إنها

فرصة رائعة، لا يمكننا أن ننجو اعتماداً على أنفسنا وهذا رجل يعتمد عليه، فلنتمسك به و لا يوجد ما نفقده. »

بدأ الشك و الارتياب يراوده و هو على الصليب، فقد كان بانتظار والده اللّه جالساً على غيمة بيضاء لينقذ ابنه بمعجزة و يقول لليهود «لقد أخطأتم؛ لقد أسأتم معاملة ابني الوحيد» لكن شيئاً من هذا لم يحصل و لم تأت أية غيوم... نظر إلى السماء ثانية و ثالثة و لكن لا وجود لما يشير لحدوث معجزات فقد كان كل شيء صامتاً، حتى صرخ أخيراً من لا وعيه « والدي : أتخليت عني؛ أنسيتني ؟ » و لكن لا أجوبة أيضاً .

لا يوجد آباء في السماء كما أنها لا تجيب السائلين .

و يأتي هذا الموظف ليقول « أتيت لتنقذ الإنسانية! » من الذي أخبره بذلك ؟ بل كثيراً ما كان يردد أوشو بأنه لا يريد إنقاذ أحد، فهذا برأيه عمل فردي و لا يتوجب عليه التدخل في حياة الآخرين و لو لأسباب إيجابية و نوايا سليمة... تحدث الرجل عن اختباراته الشخصية و أشار إلى

طرق ممكنة، أما إنقاذ الآخرين فلا... على أحدنا أن يسير بمفرده و دون أية أوهام .

كان يقول بأنه رجل كسول و كل ما باستطاعته تقديمه هو دفع من يجده على الخط الفاصل فهناك دوماً حنين للتراجع إلى الوراء، فاختبارات الفكر جميلة و العقل سماء مفتوحة دون حدود مما يولد شيئاً من الخوف فلا بد من وجود من يغامر بدفعك إلى المجهول... ذلك هو المعلم. وأخيراً لا يوجد للحكمة الحقيقية أية علاقات أو صفات تمت للدراما بصلة و إنما هي عادية طبيعية... يحب الناس الدراما رغم معرفتهم بأنها ليست سوى دراما و خرافات .

تعمل الأديان على انتاج أصناف متنوعة من الدراما لتسلية الناس و يحب الناس من يقوم بتسليتهم، و لكن لا توجد على الخط الفاصل اختبارات درامية بل دفعة واحدة تسمع بعدها صوت المعلم « أها. »

خمر و ثمالة و سكارى

خمر و ثمالة و سكارى... أشياء ثلاثة نجدها في مكان واحد و هو الحانة، و لكن أيمكن أن نلتقي بأوشو هناك؟ و عندما نسأل هذا السؤال أنكون في صحوة أم في ثمالة؟

كل ذلك ممكن لكن الخمرة إلهية و الحانة معبدها... عندما تثمل مع الألوهية تنسى وطنك؛ تنسى دينك و تنسى من أنت... إذا أردت أن تثمل مع الألوهية فلن تجد حانتها سوى في مكان واحد فابحث عنها إنها في داخلك، وعندها تثمل عن حق و حقيقة.

إذا أردت اختبار متعة الحياة؛ إذا أردت اختبار فرح الحياة الغامر و نشوتها فابحث لك عن مصدر داخلي تستقي منه خمرتك، أما ثمالة الخمرة الخارجية فلحظية مؤقتة و لها تركيبة الأحلام نفسها... في اللحظة التي تبدأ فيها سيرك

نحو الداخل تتحرر من كل حاجة لما ينسيك أصناف العذاب و المآسي التي تحيط بك... لن تعود هناك أية حاجة لأية عقاقير أو أية أدوية .

هناك بعض الحمقى و لا سيما في الغرب ممن يدعون استخدام العقاقير المخدرة نشوة، الأمر الذي يناقض قوانين العالم بأكملها، فمتى كان للغربيين اختبارات تمكنهم و تخولهم الحديث عن النشوة ؟!!! و متى كانت النشوة اختباراً لعقار خارجي ؟ النشوة شيء ينساب مع عصارات حياتك و لست بحاجة لتسير و لو لربع خطوة للحصول عليها... حيث كنت و كائناً من كنت يمكنك أن تحيط نفسك بكل أشكال و إمكانيات السعادة؛ إمكانيات لا يمكن أن تكون لحظية أو مؤقتة كما أنك لست بحاجة لتعاني الصداع في صباح اليوم التالي... كلما شربت من تلك الخمرة ازددت جمالاً و رزانة؛ كلما شربت ازددت سلاماً عقلياً و تزداد كلما شربت و عياً و إدراكاً.

ما لم يتمكن أحدنا من إيجاد هذا المنبع في وجوده فلا بد له من البحث عن منبع خارجي في مكان ما .

تدعى أقدم النصوص الدينية المكتشفة في التاريخ بالريغ فيدا RIG VEDA و هي تابعة للديانة الهندوسية... تتحدث الريغ فيدا عن عقار مخدر يدعى سومراسا Somrasa .

اعتاد كهنة الريغ فيدا شرب السومراسا و الرقص حول النار... مما جذب باحثاً غربياً معاصراً يدعى آلدس هاكسلي Aldous Huxley للاهتمام بتلك الوصفة والبحث فيها، مما لا شك فيه ستبدو السومراسا كعقار مخدر و لا سيما لباحث غربي موضوعي.

قام هاكسلي بتجريب كل أنواع العقاقير المتوفرة واستنتج أخيراً بأن الـ LSD هو العقار الأقرب لما توصف به تلك السومراسا... و لما كان الـ LSD عقاراً ذو بنية تركيبية تصنيعية فقد يمكن إجراء بعض العمليات لتنقيته و ذلك بالحفاظ على مكوناته التي تجلب الصحة، الوعي العميق و التبصر في الوجود، و إزالة الضار منها، و لذلك دعا الـ

LSD بالسوما كنوع من العرفان بالجميل لكهنة الريغ فيدا.

لكن هاكسلي هذا كان مخطئاً فلم تكن السومراسا التي وصفت في الريغ فيدا سوى عقار مشابه تماماً للمارجوانا Marijuna و التي اعتادت على النمو في الهملايا... من المحتمل أنها لا زالت تنمو و تتواجد هناك لكننا لا نعلم أماكن تواجدها .

أما النار المقدسة التي اعتادوا الرقص حولها فل يجد أوشو أي علاقة لها بنيران الحياة الداخلية... إن من اعتاد الحديث عن السومراسا و عن النيران المقدسة هم أناس في الحقيقة يتاجرون و يضحون بالوجود الإنساني و لا يذكون أضحياتهم من سائر الحيوانات .

لا أعلم كيف تتحول الأحداث فقد اعتاد الهندوس و هم أتباع الريغ فيدا على إثارة الضجيج للمطالبة بمنع ذبح الأبقار و أكل لحمها ، و لكن على ما يبدو لم يقرؤوا أقدم نصوصهم التي تذكر بأن كهنتهم الأوائل كانوا

جميعاً يذبحون الأبقار كضحايا للنار الإلهية و كانوا يأكلون لحومها... هل ترى في هؤلاء بذور لمتأملين ؟

لا تجوز تسمية كل ما تتناقله الشعوب و ثائقاً مقدسة ونصوصاً دينية، لم يقرأ الكثيرون من الهندوس بالتأكيد الريغ فيدا و لم يحللوها ليلاحظوا ما فيها من حماقات.

ترى الريغ فيدا مثلاً أن النساء ليسوا سوى سلع يمكن بيعها و المتاجرة بها في أي سوق أو مزاد علني، و قد كان للواحد من الكهنة زوجات كثر... و قد كان هناك مزاد علني للمتاجرة بالفتيات الجميلات .

كان لكل راهب نوعين من النساء: مجموعة أولى و هي مجموعة الزوجات و الثانية هي مجموعة ما كان يعرف بالجواري و حيث يتم شراء الجارية من السوق و يمكن بيعها بأية لحظة، و الغريب أنهم كانوا يعتبرون ابن الزوجة ولداً شرعياً أما ابن الجارية فهو غير شرعي.

كيف يمكن للطفل أن يكون غير شرعي!!! يمكن لأحد الوالدين أو لكلاهما أن يكون غير شرعي، أما

الطفل البريء فشرعي دائماً سواءً أكان لزوجة أم لجارية أم لعاهرة أم لأي كان لكن البشر ماهرون و مخادعون في إلقاء المسؤولية على سواهم... لم يقل أحد بأن هذا والد غير شرعي أو تلك أم غير شرعية لكن الطفل هو المذنب دائماً و هو غير الشر عي دائماً.

أيمكن لكهنة كهؤلاء استعبدوا غيرهم و جمعوا الثروات الطائلة أن يتوصلوا لإيجاد النشوة الداخلية التي نتحدث عنها ؟ إذا كنت تعتقد ذلك فهذا شأنك أما أنا فلا أظن .

ثمانية و تسعون بالمئة من الريغ فيدا صلوات غبية و لا يمكنك فرز سوى الاثنين بالمئة باقية لتفسيرها و إيجاد بعض المعاني و ما تبقى صلوات لا يمكنك تخيلها .

يشرب أحد الكهنة السومراسا و يصلي لله قائلاً {في النصوص القديمة طبعاً} « إلهي : استمع لصلاتي، على غيومك أن تمطر على حقولي فقط و عليها ألا تمطر على حقول أعدائي... لم تستمع لصلاتي من قبل أما الآن فها أنا

أذبح لك بغض الخيول و الأبقار لذلك عليك أن تستجيب... امنحني أبناءً أكثر و لا تعطي أعدائي أي طفل. »

و من هم الأعداء ؟ إنهم كهنة آخرون و لهم أيضاً صلواتهم الغبية « إلهي إذا كنت رحيماً فعليك أن تثبت ذلك... يجب أن يجف الحليب في أثدية أبقار أعدائي... »

كيف يمكن أن يسمى متديناً رجلاً يصلي « إلهي: انصرني و انصر أصدقائي، إلهي : اهزم أعدائي و اهزم أصدقاءهم .»

كان هاكسلي مخطئاً و لم تكن السومراسا سوى مخدر فظيع، و من المحتمل أن يكون هو نفسه المارجوانا الذي لا زال موجوداً في بعض أجزاء الهملايا حيث فرضت الريغ فيدا ، أما المارجوانا فلا داعي لزراعتها و دائماً ما تنمو طبيعياً.

رغم أن جميع السياسات و الحكومات ضدها؛ رغم أن جميع الأديان و جميع المعلمين الأخلاقيين ضدها لا زال استخدام العقاقير المخدرة في تزايد ، و كلما ازدادت شدة

منعها و تحريمها ازداد الانجذاب إليها... هل تصدق بأن هناك من يتعاطى العقاقير المخدرة من بين تلاميذ المدارس و بأن هناك أطفال و طفلات معتقلين بتهمة التعاطي ؟!

قصة غريبة بالفعل: تعاديها كل القوى في العالم و لا زال تأثيرها في تزايد مستمر... لا بد و أن هناك ما هو أعمق من نظرتنا الاعتيادية.

مالم يعثر أحدنا على عقاره المهدئ في الداخل؛ مالم يعثر على نشوته فلا بد له من البحث عن بديل في العالم الخارجي... التأمل وحده قادر على إيقاف الإنسان عن البحث خارجاً أما القوانين فلم تنجح إلا بإثارة الضجيج ثم السقوط.

عندما يتحدث الحكيم عن النشوة فتأكد بأنه لا يقصد تلك المستمدة من عقاقير السوق بل تلك النشوة التي ولدت معك و لا زالت مختبئة في الداخل و لا زلنا غير قادرين على تلمسها ، لمسة وحيدة فقط لتلك النشوة و سيغدو كل شيء على الفور في العالم الخارجي عديم المعنى .

لديك في الداخل نبع لنشوة لا تنتهي .

نعم... علينا أن نتعلم كيف نصبح سكارى و لكن بخمرتنا الداخلية؛ و لكن بالخمرة القادمة من المركز العميق و يمكن إدراك الفرق بين الاثنين بسهولة فسرعان ما يجعلك العقار الخارجي فاقداً للوعي و مدمناً كما ستتزايد حاجتك له بالاستمرار لأن الجسد سيغدو مع الوقت متبلداً عديم الحساسية تجاهه .

توجد فئة أخرى تنتسب لتقليد آخر و قد وقعت في المغالطة نفسها التي واجهت آلداس هاكسلي لكن هؤلاء مضوا أبعد و أبعد كثيراً... يشرب هؤلاء كل أنواع الكحول والمشروبات و يتعاطون كل أنواع العقاقير و الأدوية، وعندما تأتي فيها اللحظة التي يعجز فيها أي دواء عن جعلهم يفقدون الوعي؛ عندما تأتي اللحظة يعجز فيها أي دواء عن جعلهم يحصلون على ما يحاولون تحقيقه؛ عندما تعجز الأدوية عن جعلهم ينسون أنفسهم و ينسون العالم البائس... فماذا يفعلون و هم بقية لعرف قديم ؟؟ يسمحون

لأفعى الكوبرا بأن تلدغهم من ألسنتهم ليحصلوا على بعض الانتعاش، لكن المعجزة أن الأفعى هي التي تموت ... لقد امتلأ أجسادهم سماً... مسكينة تلك الأفعى لو علمت ما ينتظرها لفضلت الهرب بالتأكيد.

لم لا يزال إنسانا مولعاً بالسموم إلى هذه الدرجة ؟ لا تعتبر إجابة شيئاً بتلك الصعوبة حيث يكفينا القليل من وضوح الرؤيا... إنساننا بائس و لا يستطيع العيش واعياً مع هذه المأساة و هو بحاجة لفترات استراحة أو لعطلة من هذه الأشكال للعذاب و تقدم العقاقير حلاً مقبولاً و لكن ليست الكيميائية منها فقط، بل كان كارل ماركس محقاً عندما قال « ما الأديان سوى أفانين للناس . »

أثبتت الأديان بأن مهمتها تقديم العزاء ليس إلا ، كما تقدم الآمال و الأمنيات... تعمل الأديان على دفع وعيك نحو المستقبل البعيد لتنسيك الحاضر و مآسيه و هذه هي بالتمام و الكمال مهمة أي عقار مخدر .

فلننسى يا إخوتي كل شيء عن المستقبل بما فيه من آمال و أوهام و لنحيا لحظتنا براحة و سلام و تيقن بأنها اللحظة الوحيدة الموجودة و ما سواها إما ذاكرة أو تخيلات .

يغرق من يحيا لحظته في بئره؛ يغرق في بئر ليس من ماء مسموم بل في بئر من النشوة، و عندما يتعرف أحدنا على بئره لن يعود بالذهاب إلى أي مكان آخر؛ لن يعود بحاجة للذهاب إلى أي حانة أو إلى أي معبد.

كان طبيب شاب متدرب يقف عند رأس مريض يجري له طبيب خبير عملية في البطن، يتمكن الشاب بهذه الطريقة من اكتساب بعض المهارة دون أن يعيق العمل، كما كان يتدرب على البقاء صامتاً أثناء الجراحة، و لكن فقد الشاب صبره بعد لحظات و سأل « كيف تبدو الجهة عندك يا سيدي ؟ »، « كل شيء على ما يرام، و لماذا تسأل ؟ » فقال الشاب أخيراً « لأن الجهة عندي ماتت منذ عشر دقائق ! »

طلب منه الصمت فبقي صامتاً رغم موت الرجل الذي استمر الجراح بإجراء العملية له .

تمنع التقاليد و تحرم الحديث عن أمور عدة، و كما نعلم نحتاج لشجاعة كبيرة لمواجهة تلك الأعراف، و على سبيل المثال يمنع الجميع من إظهار أي نوع من التأييد لأي نوع من العقاقير فيبقى الجميع صامتين، فهل سمعت أحدهم يقول يوماً « تحمل سيطرة العقاقير المخدرة على العالم في طياتها أمراً عميقاً يصعب التعامل معه بالتحريم و القوانين » و لكن علينا القول ما لم يجد الإنسان عقاره الحقيقي الساكن في وجوده لا يمكن لقوة في الأرض أن تمنع استخدام الكحول؛ لا توجد قوة في الأرض تستطيع أن تمنع استخدام المارجوانا و الحشيش و الـ LSD و القائمة تطول و لا تنتهي {LSD عقار مخدر يؤثر في أحد أجزاء الدماغ و يسبب للإنسان شعوراً بالعظمة} و الغريب في الأمر أن ما يقارب التسعين بالمئة ممن يحاولون منع تعاطي العقاقير يستخدمونها.

عقد مرة في أمريكا لقاء دولي للواطة و اللوطيين و كان من بين الحاضرين عضو في البرلمان البريطاني، كان لوطياً بالتأكيد و إلا لما كان سيذهب إلى هناك... و في كلمته التي ألقاها أمام المؤتمر قال البريطاني « عليكم أن تعلموا بأنني شخص غريب الأطوار، فمن غير المألوف أن تكون عضواً في البرلمان البريطاني و تحضر مؤتمر اللوطيين لكنني أؤكد لكم أن ستة و خمسين على الأقل من أعضاء البرلمان عندنا هم لوطيون... » { لا تستغرب هذا فغالباً ما تلازمت اللوطية مع ما يدعونه حضارة } قد لا تتوفر لدى هؤلاء الشجاعة الكافية لمناقشة هذا، لكن يأتي بعضهم ليقترح سن القوانين ضد اللوطية... هل يمكن لإنسان غير لوطي أن يفكر و لو من بعيد بسن تلك القوانين ؟!!

قد لا يفكر أحدنا أو يعتقد بأن المسيح لم يتوقف عن شرب الكحول و لكن لم يجرؤ أي مسيحي على القول بأن رجلاً مثل المسيح يجب ألا يشربها... توجد إمكانية

لذلك فقط إذا لم يعثر على كحوله في الداخل... كان في كل ليلة في موعد مع احتفال و لا زلنا نشرب الخمرة باسم المسيح حتى بعد ألفي عام... من الطبيعي ألا يحرمها و هو يشربها... لو حصل و احتاج المسيح للخمرة فليس هناك في العالم من لا يحتاجها... و هو كذلك بالفعل .

يذكر أن تقليداً دينياً غريباً يتكرر في الفاتيكان كل عام حيث يخرج البابا بكامل حليته و يتبعه الكرادلة... يأتي حاخام روما بقائمة كبيرة يسلمها للبابا الذي ينظر إلى القائمة و يعيدها ثانية للحاخام... يتساءل الجميع عن الأمر و عما تحتويه تلك القائمة إلى أن تجاسر شاب و قال « شاهدنا هذا منذ ألفي عام لكننا نريد على الأقل أن نعلم ماهية هذه القائمة و مضمونها الديني... أظنها عديمة المعنى...»

فتحت القائمة لأول مرة و إذ بها فاتورة « العشاء الأخير » والسؤال هو: من الذي سيدفعها ؟

المسيح يهودي و على الحاخامات تسديد الفاتورة، لكنه لم يعترف به واحداً منهم، و قاموا بصلبه فعلى البابا دفع الحساب، و هكذا استمر النقاش لتحديد فيما إذا كان المسيح يهودياً أم مسيحياً... أتباع المسيح مسيحيون بالطبع ويرفضون دفع فواتير يهودية، و هكذا تأتي الفاتورة كل عام و تعود.

أنت هو وجودك العميق فلا تبالي لكل الألعاب الروحية وغير الروحية التي اعتادوا لعبها لجعلك معتلاً... من شأن ألعاب كهذه أن تمنعك من التحول إلى وعي؛ تمنعك من بلوغ إزهارك الكلي... اقطع الطريق على كل سخافة تحاول منعك .

كن وحيداً؛ كن وحيداً تماماً و لا تكن بحاجة لمساعدة؛ كن و حيداً فلست بحاجة للتعلق بأي نبي، فلو وجدت مثل هذه الحاجة، فبمن يتعلق الأنبياء ؟ ما الأنبياء في الحقيقة سوى أناس أدركوا أنه لا حاجة للتعلق بأحد... و لا تظن

بأن أحدهم منشغل بك و بإنقاذك... كن وحيداً فأنت ملزم بالبحث عن مركزك الأعمق .

لا يوجد معلم و لا طريق و لا نصيحة في أي مكان، قد يكون هذا قاسياً بعض الشيء لكن من يحبك مجبر على قوله و لا يمكن لمن لا يقوله لك أن يكون محباً... من يقول غير هذا منشغل بجمع الحشود حوله، و كلما ازداد الحشد اتساعاً ازداد غرورهم إشباعاً .

ما الاستنارة سوى اللعبة الأخيرة لما أسميه بالتحرر...لما لا يكون ذلك بكل بساطة ؟ لم لا يجب عليك التسرع في أي زمان أو مكان ؟ أنت كما يريدك الوجود أن تكون... فاسترح .

سحقاً لهذا التاريخ

نخضع و منذ عشرة آلاف عام تقريباً لسلطة العقل والفكر و نعلم أن هذا الأخير في حالة عشق دائم للثنائية... شيئان اثنان مفروضان علينا: سلطة العقل و الثنائية لذلك كان من الطبيعي أن تقوم الثنائية بتقسيم الإنسانية إلى فئتين، فئة الحكماء أو ما تدعوهم الحضارة و المجتمع أذكياء وعباقرة أما الثانية ففئة العاديين أو الساذجين و يسمون أحياناً أغبياء أو حمقى... في الحقيقة تسعون بالمئة من الفئة الثانية هم هكذا بالاكتساب تحت تأثير الآخرين والمجتمع و ليس بالفطرة، أما العشرة الباقية فهي كذلك بسبب التسعين الأولى.

لم ينظر أحدنا بعمق إلى الآلية التي تعمل بها مجتمعاتنا، تلك الآلية التي لا يمكن تسميتها إلا بالجريمة العظمى... يحتاج المجتمع طبقات و يحتاج مراتباً فقد بني على أسس

تنافسية، وفكرة مجتمع تنافسي غاية في الخطورة على الوجود الإنساني... لا ندعو أحدهم غبياً إلا عند المقارنة بشخص آخر نراه و نظنه عبقرياً !!

سأل أوشو طفلاً صغيراً لا يتجاوز السادسة من عمره عن اسمه فأجاب « كنت أظن بأن اسمي هو «لا» و عندما بدأت الذهاب إلى المدرسة اكتشفت بأن هذا غير صحيح.»

إن ما قاله الطفل غاية في الأهمية، فللبالغين ردة فعل واحدة على كل ما يفعله و يقوله الأطفال «لا تفعل» لا يسمح لأحدنا بالنمو و التفتح وفقاً لطبيعته الأساسية وهذا هو السبب الأساسي بتحول العديدين إلى الغباء والسذاجة... وكل هذا لخدمة مصلحة واحدة وهدف واحد: لو سمح لكل إنسان بالتفتح وفقاً لطبيعته دون منافسة و دون مثاليات أو أفكار و دون أي تعاليم مفروضة أتعتقد بأن أحدهم سيقبل بهتلر قائداً له ؟

يجلس الأمريكي العادي ملتصقاً بكرسيه أمام شاشة التلفاز الذي أصبح كل حياته، يمكن استخدام التلفاز

بطريقة خطيرة و هذا ما يحدث بالفعل... أتعتقد أن رونالد ريغن كان سيتمكن من الوصول إلى كرسي الرئاسة الأمريكية لولا وجود تلك الآلة الحمقاء و التي غيرت كل شيء في الفكر الأمريكي .

لم يعد من الضروري أن تكون حكيماً لتصبح قائداً ، بل الضروري الآن هو هيئتك و جمالك أمام الكاميرا؛ عليك أن تكون ذا منظر لائق أمام الكاميرا و هذا ما اكتشفه ريغن الذي كان ممثل درجة ثالثة في أفلام رعاة البقر في هوليوود ، أيمكن لأي مجتمع أن يختار شخصاً كهذا ليصبح رئيساً ؟ لقد غير التلفاز كل شيء فقد استطاع ريغن إشباع رغبة جديدة لدى الناس بأنه على الرئيس أن يكون قوياً و يعتمد عليه كما عليه أن يكون وسيماً على الأقل .

تعلم ريغن هذا عندما هزم ريتشارد نيكسون أمام كندي فلم يكن نيكسون مدركاً بأن السباق قد تغير الآن و لم تعد المسألة مسألة ذكاء... كان كندي يبدو أكثر

شباباً، جميل الملابس و بارعاً في الكلام رغم أن كاتباً مجهولاً كان يكتب له ما يريد قوله و كل ما عليه التدرب عليه و ترديده... جعل وجود رجلين على شاشة تلفاز واحدة المقارنة أمراً في غاية السهولة حيث بدا نيكسون متواضعاً بملابس قديمة لم يعرها اهتماماً يذكر كما أنه لم يحضر ما سيقول، و بذلك بدا الأقرب للمشاهدين أكثر ذكاءً... فرق كبير بين أن تواجه الشاشة بتلقائيتك و بين أن تواجهها وراء أقنعة أعددتها .

هُزم نيكسون فنصحه بعض معاونيه بإجراء بعض التغييرات و بأن عليه الاهتمام بمظهره أمام الكاميرا، كما أن عليه الاهتمام بتصفيف شعره و بجمال ملابسه وبأن الكلمات الارتجالية ما عادت تجدي نفعاً فهناك الكثير من الكتاب الجيدين و بإمكانهم كتابة تلك الكلمات بصياغة أجمل ثم ما عليه إلا التدرب و التكرار... في المرة التالية ظهر نيكسون نفسه و لكن

بشخصية مختلفة تماماً فبدا أكثر نضجاً و كفاءة فتم اختياره .

عندما تم اختيار نيكسون بدأ ريغن يحاول الوصول إلى رئاسة ولاية كاليفورنيا، و تحقق له ما أراد... تم اختيار ريغن لأن منافسه كان يعاني من نفس مشكلة نيكسون و لم يدرك أنه على الوالي الجديد أن يكون ممثلاً و رجل عرض و مظاهر، متى كانت هذه هي صفات القائد ؟ عندما أصبح حاكماً لولاية أدرك ريغن أن رئاسة الولايات المتحدة لم تعد بعيدة و هذا ما حصل.

أن تشاهد التلفاز لسبع ساعات و نصف في اليوم ليس بالوقت القليل على الإطلاق، بل يعادل ثلث وقت حياتك الكامل و يجعلك هذا خاضعاً لتأثير أفكار و شخصيات لا تملك إلا أن تكرر نفسها باستمرار ... نسي الناس في أمريكا القراءة و لا يغرنك ما تشاهده لديهم من مظاهرها فهم لا يقرؤون الكتب التافهة في القطارات و الطائرات فلا وقت لديهم لأكثر من ذلك .

اختفت في أمريكا المجلدات الضخمة و الجميلة {هناك الكثير منها لكنها ليست جميلة} فمن الذي سيشتري كتباً جميلة كتلك علماً بأن الأدب الرخيص غير قادر على إنجاب أدباء كغوركي... أدخل التلفاز إلى حياتنا نوعاً جديداً من الفطرة حيث تقتصر معرفة الإنسان الفطري على ما تشاهده عيناه .

نصاب بالدهشة أحياناً عندما ننظر إلى الأشياء الصغيرة... كنا نرى كتابات يدوية رائعة الجمال قبل أن تأتي إلى الوجود أقلام الحبر السائل، و تسببت هذه الأخيرة بحدوث ضرر هائل للكتابة اليدوية الجميلة التي تعتبر في الحقيقة رمزاً لشخصيتنا ، ذكائنا و حسننا الجمالي.

لا زلنا بحاجة للذاكرة بعض الشيء لكن تلك الحاجة سرعان ما ستختفي مع تزايد سيطرة التكنلوجيا على حياتنا و كل ما سنحتاجه تعلم كيفية تشغيلها ... إذا كنا نعتبر الذكاء أمراً هاماً و إذا كنا نعتبر الذاكرة كذلك فمالا شك فيه أننا بدأنا بمواجهة سقوط كبير فلكل

جديد يأتي إلى الوجود تأثيره البطيء غير المنظور... لا يعد الإنسان بحاجة للذاكرة أو الذكاء لكن حياة الذاكرة والذكاء الطبيعيين أفضل ألف مرة مما نحن عليه و مما هو آت.

قد يكون وجود السذاجة و الساذجين ضرورياً بالنسبة للبعض ليتمكنوا من التعبير عن غرورهم و استكبارهم وليتمكنوا من الصعود عالياً و يصبحوا حملة شهادات وجوائز .

فكر للحظة فقط: لو عاش كل واحد منا وفقاً لطبيعته الأصلية دون أية محاولة ليكون أحداً فما الذي سيحصل ؟ سينفجر نبع عظيم للذكاء في داخلنا... إنه قانون أساسي من قوانين الحياة و الوجود، و لحسن الحظ لا تستمع الورود لتعاليم المعلمين أو القادة و لا لتعاليم السياسيين و لو حصل هذا لسألوا الوردة « ما أنت فاعلة ؟ أتصبحين وردة جورية »لا، الورود ليست بهذه الحماقة، و لكن لو فرضنا أن ذلك سيحصل و بدأت الورود تحاول أن تصبح شيئاً ما

فما النتيجة ؟ شيئان مؤكدان سيحصلان، لن تعود الوردة وردة لأن كامل طاقتها ستتحول لتصبح ذلك الشيء، والثاني لن تستطيع تلك الوردة أن تصبح ذلك الشيء لأنه غير متوفر في الشيفرة الداخلية لبذرتها .

هل مررت مرة بشجرة يمكن القول عنها بأنها غبية أو بأنها من أذكى الأشجار؟ أم أنها تستحق جائزة عالمية ؟ لقد دمر الإنسان تماماً... لا تقل لي بأنه الكائن العاقل الوحيد، فانظر لعشرة آلاف عام فقط من سلطة العقل ... أيهما أفضل ؟

يحاول الجميع من حولك بدءاً من الوالدين و المعلمين في المدرسة، مروراً بالجامعة و وصولاً إلى الدين و المعلم، يحاولون جعلك شيئاً آخر لا تستطيع أن تكونه... يمكنك أن تكون نفسك و إلا ستفقد سر الوجود كالأحمق تماماً.

يمكننا تسمية التاريخ جريمة طويلة مستمرة لا مبرر لها ضد كل إنسان بفرديته؛ جريمة تخدم أصحاب الحقوق ممن يمتلكون القوة؛ ممن يمتلكون المعرفة و هي شكل

آخر للقوة و تخدم مصالح الأغنياء و الثروة شكل آخر للقوة... لا يريدون لأحد أن يكون متمركزاً بفرديته لأن إنساناً متمركزاً بفرديته لا يمكن استعباده ، لا يمكن استغلاله و لا تمكن إهانته و لا يمكن أن يتطور تطوراً سرطانياً محكوماً بحس الإثم و الخطيئة... هذه هي الأسباب التي تدفعهم لمنع الإنسانية من نموها الطبيعي .

توجد في اليابان أشجار معمرة تبلغ أعمارها ما يقارب الأربعمئة عام، يعتبر هؤلاء تلك الأشجار نوعاً من الفن لأن ارتفاعها لا يتجاوز الستة إنشات و تبدو عليها مظاهر التقدم في العمر، لكنهم يستخدمون ضدها الأسلوب نفسه المستخدم ضد الإنسانية... تزرع تلك الأشجار بأوعية لا أسفل لها و تقطع جذورها باستمرار، و عندما لا تستطيع الجذور النمو نحو الأسفل لا تستطيع الشجرة النمو نحو الأعلى... هناك توازن محدد حيث تحتاج أعلى الأشجار لجذور عميقة للتمكن من الوقوف و إلا فهي ستسقط، فإذا تابعنا قطع جذور شجرة ستتابع نموها الزمني لكنها

لن تستطيع الارتفاع و بلوغ أقصى إمكانياتها... أفن هذا أم جريمة ضد الأشجار المسكينة .

تستخدم نفس الجريمة ضد الإنسان حيث تقطع جذوره باستمرار مما أوجد إنسانية معتلة شبيهة بتلك الأشجار .

جاء حكيم إلى قرية فقدم إليه رجل يبكي و قال « لدي مشكلة لا أستطيع التعامل معها، يظن سكان قريتي بأنني غبي، فإذا تحدثت بشيء لاموني و سخروا مني من فورهم، و إذا لم أتحدث سخروا وقالوا «ماذا بمقدوره أن يقول فهو غبي» سمعت بأنك حكيم فجئت لبعض النصائح.»

فقال الحكيم « لا تقلق فالحل بسيط و يمكنه أن يغير كل شيء خلال شهر، و سأعود بعد ذلك الشهر لأمر من هذا الطريق و سأرى ماذا حصل. »

قال الحكيم « لا تقل شيئاً من تلقاء نفسك و انتظر أحدهم حتى يقول أي شيء... فإذا قال أحدهم بأن الغروب جميل فانهض من فورك و اسأله عن الجميل فيه، عرفه

واشرحه و اسأله ما هو الجمال ؟ و إذا كنت لا تعلم ما هو الجمال فكيف تقول عن الغروب بأنه جميل ؟ قبل أن تصف شيئاً بأنه جميل عليك أن تعرف ما هو الجمال. »

لم يتمكن أبرز الشعراء و الفلاسفة، و حتى فلاسفة أمثال Croce الذي ركز على موضوع واحد وهو حب الجمال.. لم يتمكنوا من معرفة ما هو الجمال، رغم معرفة الجميع عن الجمال إلا أن المعرفة وحدها لا تكفي .

نعلم جميعنا عن شيء ما فيما إذا كان جيداً أم لا ، ولكن ما العمل عند سؤالك عن تعريفه ؟ كتب فيلسوف بريطاني بارز يدعى G.E. Moore كتاباً أسماه PRINCIPIA ETHICA... تم تخصيص الكتاب بكامله لسؤال واحد وهو « ما هو الجيد ؟ »

بمناقشة منطقية دقيقة و شاقة استغرقت مئتين و خمسين صفحة توصل الكاتب في نهايتها إلى أن الجيد غير قابل للتعريف .

و من الطبيعي أن يعود الحكيم بعد شهر ليرى ماذا حصل، فوجد أن الذي كان يدعى غبياً قد أصبح أحكم سكان القرية فقد أوقف الجميع، وعندما يتحدث أحدهم يوقفه و يسأله عن تعاريف أساسية... قد يسمع أحدهم يقول عن امرأة بأنها جميلة فيسأل « ما الذي تراه جميلاً ؟ الوجه، العظام أم الأنف الطويل ؟ ما هو الجمال؟» و لم تكن هناك وسائل للإجابة... عندما بدأ أهل القرية يعجزون عن الإجابة بدؤوا بالاعتقاد بأن هذا الرجل ليس غبياً و هم الذين لم يفهموه من قبل « إنه ليس غبياً بل ذكي؛ إنه أشد ذكاءً من أي إنسان آخر. »

شعر الحكيم بالسعادة لما رأى من حال الرجل الذي عبر عن السعادة أيضاً، ثم قال الحكيم « تذكر دائماً: لا تقرر شيئاً بمفردك، انتظر أحدهم حتى يقول شيئاً فانتقده... عندما يتحدث عن الله فاسأله عن أدلة وبراهين، و لا وجود لمثل تلك البراهين... فقط تذكر بألا تقرر شيئاً وإلا سينهض أحدهم ليسألك و تعود عندها أحمقاً.

«يتعرض معظمنا منذ الولادة الأولى للمنع و الإدانة فمحكوم على كل ما نقول و نفعل بالخطأ و من الطبيعي أن ينشأ بهذا شعور بالخوف و العجز عن قول أو فعل أي شيء، نختبر فيما إذا كنا مطيعين و نختبر فيما إذا كنا نتبع قواعداً وضعها أحدهم...، يقوم الجميع باختبارك وتقييمك... هذه هي الطريقة و الجريمة: إدانة من يحاول الوقوف على قدميه و التأكد بأنه ليس سوى مقلد، وعندها من الطبيعي ألا تحصل بذرته الداخلية على فرصتها بالنمو و بلوغ أعظم قممها.

عاش أوشو في طفولته الأولى في أسرة ضخمة تتألف مما لا يقل عن خمسين شخصاً { تعتبر أسر كهذه حالة مألوفة في الهند } عندما كان أوشو الطفل يجلس صامتاً فلا بد من قدوم أحد أفراد الأسرة ليسأله « لم تجلس صامتاً ؟ ؟ غريب ألا يستطيع أحدهم الجلوس صامتاً !أما إذا نهض و أثار الضجيج و بدأ يلعب حول المنزل فسيسأل « أجننت، لم تلعب و تقفز هكذا ؟ »

عند إدراكه لهذا رأى الطفل أنه من الضروري دخول الصراع من بدايته الأولى فمن المستحيل التعامل مع هذا الحشد بهذه الطريقة...

كان الوالد شديد الدهشة و كان يقول « لا تجيب على أي سؤال بل على العكس ترد على السؤال بسؤال !! »

فيقول الطفل « وجدت هذا أفضل، فعندما تسألني : لم تجلس صامتاً ؟ سأسألك : و لم علي ألا أجلس صامتاً ؟ أجبني فأنت رجل ناضج و خبير أما أنا فطفل، أجبني: لم علي ألا أجلس صامتاً ؟». تفهمت العائلة مع الوقت أن هذا الطفل غير قابل لاتخاذ القرار بنفسه و سيرد على السؤال بسؤال آخر مما سيقع السائل في مشكله، و في النهاية لم يعد الطفل يتعرض لأية أسئلة .

وصل جلوسه صامتاً لدرجة قول الأم « لا أرى أحداً في المنزل، أريد بعض الخضار و يجب أن يذهب أحد لإحضارها!! » و الطفل جالس بصمت أمامها .

و يقول عندها « إذا رأيت أحداً فسأخبرك ... » كان كالغائب تماماً... و أحياناً ما تقول الوالدة « إنه موسم المانغو الطازجة، اذهب و احضر لنا بعض المانغو... « يذهب إلى الدكان الذي يمكن أن يجد فيه أسوأ حبات المانغو و يقول للبائع « أعطني أسوأ مانغو لديك و خذ ثمنها على أنها الأفضل ! »

يستغرب البائع و يسأل « أي نوع من الزبائن أنت ؟! » فيسأل الغلام « أي نوع ؟ أنت من تعرف على أنواع الزبائن، أما أنا فزبون عادي .»

يشعر البائع بالفرح طبعاً، فينتقي له المانغو الفاسدة ويتقاضى ثمنها كما لو كانت الأفضل، يعود أوشو الطفل إلى البيت و يقول للوالدة » خذي، هذه هي أفضل مانغو وقد دفعت ثمنها..» بالطبع لن تقول إلا « ازمها خارجاً » فيقول « من الأفضل ألا أرميها فهناك امرأة تتسول و من

الأفضل أن آخذها لها...» فترفض المتسولة العرض و تقول «لا تأتي إلي ثانية لأنك لا تأتي إلا بالأشياء الفاسدة، اذهب و اطعمها للكلاب . »

تهرب الكلاب بالطبع عندما يرمي أحدهم شيئاً كحبات المانغو باتجاهها ، هذا ما يجعل الطفل يشعر بالحيرة .

قررت العائلة أخيراً أن تترك الطفل و شأنه؛ تركوه ليكون كما هو فلن يكون شيئاً مميزاً .

كانوا محقين بالفعل فقد حقق الرجل نبوءة أسرته و كان من القلة القليلة في هذه الحياة ممن تغلبوا على استكبارهم «أناهم» و أصبحوا «لا شيء.»

حاول ألا تكون شيئاً مميزاً في الحياة ...

من الذي يبالي بأن يكون شيئاً مميزاً ؟ أنت أنت و هذا يكفي و يزيد ، و ما تبقى من حياتك صراع لحماية نفسك و إلا ستراهم مستعدين لقص جذورك .

و هكذا تابع أوشو الشاب رحلته في المدرسة و الجامعة حيث طرد عدة مرات {نتحدث جميعنا تقريباً عن تجارب

كهذه و يفاخر أحدنا بأنه كثيراً ما كان يطرد من المدرسة أو يثير المشاكل مع المعلمين و ما هذا في الحقيقة سوى استكبار وليد للضعف، أما أوشو فكان يطرد كما سنرى بعد قليل لإثارته بعض الأسئلة حول فشل النظام التعليمي بمختلف مستوياته الأمر الذي نتفق عليه بغالبيتنا }

كان أول درس له في أول يوم له في المدرسة الثانوية حول التاريخ... دخل المدرس الوقور و الخبير و بدأ يتحدث عن التاريخ، فقال الطالب الشاب الذي سيصبح فيما بعد أوشو « لطفاً من فضلك: أصنعت أي تاريخ ؟ »

فقال المدرس « أي نوع من الأسئلة هذا ! أنا مدرس تاريخ.»

قال أوشو « لست هنا لأتعلم عن حمقى أمثال جنكيزخان و تيمورلانك، سأكون تلميذك إذا كنت قادراً على أن تعلمني كيف يصنع التاريخ، و لكن ليست لديك أية فكرة حول ذلك... لست سوى ببغاء يردد كل أنواع

التفاهات التي لا يمكن نقلها للأطفال لأنها ستتكدس في الأفكار فقط ... أنت عدو . »

فأجاب « غريب، لا أستطيع تحمل وجود مثلك في الصف !»

فقال الطالب « لن تتحمل ذلك، سأنتظر خارج الصف الذي لا يعد ملكاً لك و سأثير المتاعب قدر استطاعتي من النافذة . »

خرج المدرس و حاول اللحاق به و قال « لم تحاول خلط المواضيع بعضها ببعض ؟ ألا تراني رجلاً مسناً ؟ ألن تجد لنفسك شخصاً آخر ؟ » فقال الطالب « ليست هذه المرة الأولى، بل سألت مدرس الجغرافيا « لم علي أن أتعلم أين تقع الصين ؟» إذا لم تكن قادراً على تعليم أشياء ذات معنى فابقى على الأقل صامتاً و اسمح للآخرين بالصمت.»

فقال المدرس «و من الذي سيقدم الامتحان ؟» فسأل «امتحان حول ماذا ؟ »

اصطحب المعلم تلميذه إلى المدير و قال « لست مستعداً لقبول هذا الطالب . »

استاء المدير و قال « لا يريد أي مدرس استقبالك، أين تريدني أن أذهب بك ؟ »

فقال أوشو « لا يتوجب عليك الكثير، اجلس فقط في مكتب الإدارة و سأجلس هنا ، و عندما تجد شيئاً ذا معنى بإمكانك أن تقوله و إذا وجدت شيئاً ذا معنى فسأقول هو إلا فالصمت جيد و مقبول . »

فقال المدير « أجئت إلى هنا لتتعلم شيئاً ؟ »

فأجاب « جئت لأتعلم كيف أكون أنا ، و إذا كنت قادراً على تعليمي و مساعدتي فسأبقى في هذه المدرسة، و إلا سأبحث لنفسي عن مدرسة أخرى . »

استمرت أحداث كهذه مواجهتها لأوشو الشاب عند ذهابه إلى الجامعة ، و عادة ما كان يطرد و كان يقول المديرون « نشعر بالأسف لأجلك لأنك لا ترتكب أية أخطاء و إنما أنت غريب بعض الشيء . »

دخل أول كلية و كان يريد دراسة المنطق... بدأ الأستاذ الخبير و الذي يحمل عدة درجات شرف و قد صدرت له

العديد من الكتب يتحدث عن أرسطو الذي أسماه مؤسس المنطق لارغربي... فقال الشاب « تمهل من فضلك، أتعلم بأن أرسطو قد ذكر في كتاب له بأن للنساء أسناناً أقل مما لدى الرجال ؟»

فقال الأستاذ « إلهي ! ما هذا السؤال الغريب ... لا علاقة له بالمنطق ! »

و أجاب أوشو « بالطبع هناك علاقة بالعملية المنطقية ككل، أتعلم بأنه كانت لأرسطو زوجتين ؟ » فقال « لا أدري، من أين لك هذه الحقائق ؟ »

استمر في العرف اليوناني بأنه يتوجب على النساء أن يكن أقل من الرجال بكل شيء، فكان من الطبيعي ألا يستطعن امتلاك العدد نفسه من الأسنان... فقال أوشو « وتأتي لتسمي هذا الرجل مؤسس المنطق، أما كان بإمكانه أن يعد على الأقل و قد كانت لديه زوجتان في المنزل، لم يكن كلامه منطقياً بل استمر خاضعاً للتقاليد... أيمكن الثقة برجل متزوج من امرأتين و يكتب

في كتابه بأن للنساء من الأسنان أقل مما للرجال ؟ إنه تحيز ذكوري و على المنطقي أن يتجاوز كل هذا . »

عند رؤيته للوضع أخبر الأستاذ المدير بأنه إما أن يتم فصل هذا الطالب أو بأنه سيستقيل و توقف عن القدوم إلى العمل... قال بأنه سينتظر ثلاثة أيام .

لا يستطيع المدير بالطبع التخلي عن خدمات الأستاذ الخبير لذلك استدعى الطالب و قال « لا توجد أية مشاكل مع الرجل فقد كان لطيفاً للغاية، و لكن أخبرني ما الذي حصل في اليوم الأول . »

قص عليه الحادثة ثم قال « أتستدعي مثل هذه الأمور الطرد من الكلية ؟ كنت أسأل أسئلة ذات صلة بالمنطق والموضوع، فإذا لم يجب الأستاذ الخبير فمن عساه يجيب؟»

قال المدير الذي كان رجلاً جيداً « لا أراك مخطئاً لذلك لن أطردك، كما أنني لا أستطيع التخلي عن خدمات الأستاذ لكنني سأعد الترتيبات لانتقالك إلى كلية أخرى.»

انتشرت الشائعة في الكليات العشرين المنتشرة في تلك المدينة، و أرسل المدير مع الطالب رسالة مع توصية إلى مدير آخر، ولكن توجب عليه الاتصال المباشر بذلك المدير لكي يخبره بألا يثق بالرسالة و التوصية و بأنه توجب عليه الكتابة بأنه يريد التخلص من الطالب... ليس مخطئاً لكنه متمسك بفرديته مما سيوقع الإدارة ببعض المشاكل.

ذهب أوشو إلى المدير الذي كان بانتظاره فقال « يمكنني قبولك بشرط واحد و هو ألا تدخل إلى دروس الكلية... » فسأل « و ما العمل عند قدوم الامتحان ؟ » فأجاب المدير «سأمنحك الدرجة الكافية للنجاح على أن يبقى الموضوع سراً.»

فقال أوشو « هذا جيد تماماً فأساتذتك فقدوا صلاحيتهم على كل حال، و لكن أيمكنني دخول المكتبة ؟» «المكتبة نعم، أما في الصفوف فلا أريد أن أسمع بأنك قد تسببت بأية مشاكل . »

علماً بأنها ليست مشاكل و إنما أسئلة تعبر و تظهر فشل النظام التعليمي، و لو كانوا رجال علم بحق « سأبحث وأتحرى أما الآن فلا أعلم...» لكن قولك لا أعلم أمر مستصعب في هذا العالم .

في أول يوم له في تلك الجامعة صادف تقديم نائب رئيسها لسلسلة محاضرات عن بوذا و كان ذلك هو اليوم الأول منها أيضاً، و مما قاله نائب الرئيس « أشعر بحزن عميق في داخلي لأنني لم أولد في زمن بوذا ، و إلا كنت سأذهب إليه و أجلس عند قدميه...» كان رجلاً مسناً و متقاعداً من رئاسة قسم التاريخ في جامعة أكسفورد و قد تم اختياره ليكون نائباً للرئيس في تلك الجامعة.

وقف أوشو و قال « عليك أن تفكر من جديد...» « و ماذا تعني ؟ »

«لديك في زمنك كل من كريشنا مورتي J.Krishnamurti ورامان ماهارشيRaman Maharshi أأستطيع سؤالك فيما إذا كنت قد ذهبت وتعلمت شيئاً من

هؤلاء ؟ و إذا لم تكن كذلك فعلى أي أساس تقول بأنك تشعر بالحزن لأنك لست مولوداً في زمن بوذا ؟ أقول لك متأكداً بأنك لن تذهب إلى بوذا أيضاً. »

فقال نائب الرئيس الذي كان غاية في اللطف و اللباقة «فهمت قصدك جيداً، أعرف هؤلاء لكنني لم أذهب إلى أي منهم... أنت محق و دعني أراك لاحقاً. »

ذهب الطالب لرؤية الأستاذ الذي قال « جيد لأنك واجهتني و لكن لا تكرر هذا مع أستاذ آخر لأننا ضعفاء و لا نمتلك شجاعة مواجهة جهلنا و لا نستطيع القول بأننا لا نعلم... ممتن لك، قد يكون أمراً غير واع في داخلي... لم أكن أكذب و إنما كنت أعبر عن رغبتي بالذهاب إلى بوذا و الاستزادة من نوره لكنك وضعتني على الطريق الصحيح... لم أذهب إلى أحد. »

يصعب أن تجد في المجتمع الإنساني من يوافق على منحك الحرية الكاملة لتكون من أنت و كما أنت مما أوجد اعتلالاً في العالم بأسره .

تحتاج الشعوب لطبقة دنيا و إلا من سيشن لها الحروب؛ يحتاج العالم لطبقة أدنى و إلا على حساب من سيصبح الأغنياء أغنى و على حساب دماء من ؟ تحتاج الحضارة لغير الأذكياء و إلا من سيكون محمدياً و من سيكون مسيحياً و من سيكون ...

يقوم البنيان الأساسي للمجتمع على طريقة كهذه بحيث تستغل قلة قليلة من الناس ملايين أخرى منهم و تعطي لها مختلف أنواع العزاء لتبقى راضية بالاستغلال... يقولون مثلاً « نستغلك الآن بفعل شرور اكتسبتها في حيوات سابقة... » و نادرون هم من يعلمون شيئاً عن الحيوات السابقة لذلك يجد أحدنا الاستغلال عزاء له، و يقول آخرون بأنه اختبار إيمانك بالله و يسمى أحياناً بلاءً فكن راضياً و ستثاب أضعاف ذلك بعد الموت... إما أن تلجأ الأديان إلى الماضي لتجد فيه عزاءها كاليانية و الهندوسية و البوذية و هي أديان لا نعرفها في أمة العرب و هي أديان مقادة للماضي، وإما أن تلجأ لما بعد الموت كالأديان و المذاهب التي نعرفها.

لا توجد فروق جوهرية فكل ما يحدث يحدث في الحياة نفسها لكنهم يعمدون لتنحيته إما لما قبل الولادة أو لما بعد الموت... إنها طريقة واحدة و المهم في الأمر أن تسمح لهم باستغلالك و شرب دمائك|، و عليك قبول ذلك بقناعة تامة كما عليك القبول بأن الأشياء تسير هكذا .

كن واثقاً بأن كل تلك الأديان موجهة بأيدي أصحاب الحقوق و السطوة؛ كن واثقاً بأن كل الكهنة و رجال الدين ليسوا سوى خدم بأيدي السياسة .

كان تاريخ الإنسانية كاملاً مأساة، مالم نبدأ بالانتفاضة كأفراد؛ مالم نبدأ بإسقاط كل القوميات و الأديان والسباقات و التنافسات و ما لم نعلن بأن كل هذا الكوكب لنا و ما الخطوط على الخرائط سوى وهم وتزييف و ما لم تبدأ الأفراد بتغيير كل الأنظمة التعليمية... سنبقى في مأساة .

يجب أن يعلمك النظام التعليمي فن الحياة؛ يجب أن يعلمك النظام التعليمي فن الحب و فن التأمل و عليه أخيراً أن

يعلمك فن الموت ببهاء، أما ما نراه حالياً فليس نظاماً تعليمياً بل نظاماً لاستنساخ الجنود و الكتبة و المعلمين و القائمة تطول من أصناف العبيد و نأتي لنسمي شيئاً كهذا نظاماً تعليمياً... لقد خدعنا و لا تزال تلك الخدعة مستمرة منذ القديم حتى نسيناها، و لا زلنا نعدو في الطريق نفسه و لكن إلى متى و إلى أين ؟؟

لنرفع الأيدي و لنصرخ ضد هذا التاريخ لأنه لم يكن متحضراً و لم يكن إنسانياً و لم يكن مفيداً لنا بأية طريقة لتفتح ورودنا... لم يكن نبعاً فسحقاً له .

لم يكن التاريخ سوى جريمة ترتكب على نطاق واسع، ولكن يجب أن يقف أحدنا ضده و يقول « نحن بحل من كل هذا التاريخ و سنبدأ بالعيش وفقاً لوجودنا الداخلي وسنبني مستقبلنا... لن نسمح للماضي بصياغة شيء من مستقبلنا . »

أود منك ألا تقبل سوى صلاة واحدة وهي الضحك لأنك عندما تكون في الضحك تكون في الحاضر تماماً، و لا

يمكنك الضحك في الماضي أو في المستقبل... يعمد من اختلق هذه الإنسانية المعتلة للقضاء على كل أشكال الضحك و الابتسامات، لقد أجبرنا على التخلي عن حقيقتنا و عندما تفقد حقيقتك و طبيعتك و إخلاصك تغدو عاجزاً عن جعل البذرة التي منحك إياها الكون العظيم تنمو.

يجب ألا تكون الحياة شيئاً معقداً بل عليها أن تكون فرحاً عميقاً، يجب أن نمنح كل فرد الحرية المطلقة ليكون كما هو و القيد الوحيد هو عدم تدخل أي منا بحرية الآخر... قد تكون زوجتك و قد يكون زوجك و قد يكون ابنكما فلا فرق في الأمر... إعطاء حرية و احترام تامين للفرد شرط أساسي ليكون أحدنا متديناً... كن كما أنت و اسمح للآخرين بأن يكونوا كماهم وسيتحول هذا الكوكب؛ و ستتحول هذه الحياة لجنة من الورود .

و لكن هناك شيء علينا فعله بالسرعة القصوى... يحضر كل هؤلاء لانتحار جماعي كوكبي و لا يمكننا إنقاذ

إنسانيتنا ما لم نثر ضد الماضي و ضد جميع موروثاته... لا يمكننا إنقاذ الأشجار و الطيور الجميلة؛ لا يمكننا إنقاذ هذا الكوكب الصغير الذي بلغ هذه الدرجة من الوعي... يعتقد العلماء بوجود الملايين من كواكب مماثلة و لكن لا وجود لدليل حتى الآن .

البرهان الوحيد لتطور الحياة إلى هذه المرحلة من الوعي؛ إلى هذه المرحلة من الحب و الهدوء و من اختبار الكون حدث على هذه الأرض الصغيرة التي تجب حمايتها و حماية سكانه من هذ البؤس و الشقاء القادم من الماضي بأي ثمن.

ما نحن بحاجته هو انقطاع تام عن هذا الماضي؛ ما نحن بحاجته هو إحراق كتب التاريخ كاملة... يجب أن تتركز أنظمتنا التعليمية على الفرح، على الحرية، على الحب، على الوعي و على احترام عظيم لكل ما هو حي .

الوقت قصير جداً.. عمل هؤلاء الحمقى حتى وصلوا إلى مرحلة تمكنهم من تدمير الأرض سبع مرات... قوى

تدميرية هائلة يتم تجميعها و مراكمتها و ما لم تجتمع جماعة من الأفراد بوعي و شجاعة لتثور ضد هذا الماضي... أنت تدري..!!!! المطلوب ليس اختيار الجيد مما في الماضي وترك السيء بل هما مجتمعان معاً و الاختيار غير ممكن... علينا أن نمحو الماضي تماماً و نبدأ كما لو أننا جئنا للتو إلى هذه الأرض و ليس لدينا أي تاريخ .

هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على عالم جميل مليء بالحب، بالعطر و بالاحترام العميق للجميع... عاش الماضي متركزاً و مبنياً على الكراهية و لا يمكن أن يحيا المستقبل دون أن يتركز و يبنى على الحب... كان الماضي مجنوناً و فاقداً للوعي و لا يمكن للمستقبل إلا أن يكون واعياً .

قد يبدو هذا للبعض حلماً بعيد المنال و لكن تذكر: مهما كنت فأنت لست كذلك بفضل السياسة أو بسببها؛ مهما كنت فلست كذلك بفضل رجال الدين أو بسببهم ... مهما

كنت فبفضل شعلة لا تزال حية فيك للحالمين و للصوفيين و المغنيين .

لدينا خياران مصيريان: إما الموت مع الماضي أو الولادة من جديد مع مستقبل جديد .

فشلت الثورات و علينا التمرد... تعني الثورة حشداً أو فئة تقاتل ضد فئة مسيطرة، و فشلت تلك الثورات بسبب غياب ضرورة جوهرية: عندما تقاتل فئة مسيطرة فأنت تستخدم الوسائل نفسها و عندما تصبح في موضع قوة ستفعل كل ما كانت تفعل تلك الفئة .

و لكن للتمرد جماله لأنه فردي و لا يوجد من تقاتل ضده و ما علينا ببساطة هو إلغاء كل الماضي من وعينا... فلننظف أنفسنا و لنكن من جديد آدم و حواء... تمرد من جديد على الله و عندها فقط يمكن لهذه الرؤيا أن تصبح حقيقة .

إذا استطعنا أن نحيي فكرة التمرد في فئة قليلة من العالم فستفي بالغرض... يمكن لبذرة واحدة أن تجعل الأرض

خضراء و إنسان واحد متمرد قادر على إحياء عالم جديد وإنسانية جديدة .

أما الثورات الجماعية المنظمة فلا تفي بالغرض لأن كل تنظيم يدمر الفردية و للفرد بهائه الذي يجب الحفاظ عليه... لا يوجد من هو فوق الفرد... علينا اتخاذ هذه النقلة من الحياة الاجتماعية المنظمة إلى الزهور الفردية، هذا ممكن شريطة ألا نتعلق بأي دين أو بأي قومية أو بأي نوع من أنواع التنظيم... يمكن للنار الفردية أن تصبح ناراً جماعية لأن كل فرد في داخله يعاني و يريد التمرد ضد كل ما هو مفروض و ضد كل ما هو مكبوت .

تحدث جميع الأنبياء عن نهاية العالم في العام 2000 و لم يتحدثوا عن شيء واحد بعده... لا يعني العالم القديم الأرض و الإنسان بل يعني بنيانها القديم الذي عليه أن يموت... لو استطعنا إنقاذ بعض الأفراد فلن تكون الولادة الجديدة صعبة أو بعيدة... لا تكن متمسكاً بالقديم بل حلق فرحاً مع الجديد .

الفهرس